خاص الايداع القانونى
غير مخصصة للبيع

موسوعة الثقافة التاريخية
والأثرية والحضارية
التاريخ الوسيط

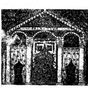
١٠

المسلمون ودولة الروم

تأليف
أ.د. طارق منصور
كلية الآداب - جامعة عين شمس



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
١٦ شارع جواد حسني - ت: ١٦٧ - ٢٢٣٩٣
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



قصر الحكم البيزنطي في روفنا - إيطاليا

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

الإشراف العام
محيي الدين فتحي الشلودي

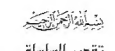
التصميم والإخراج على الكمبيوتر
منى حامد عمارة

٩٣٧,٠٦ طارق منصور.
ط ١ د و المسلمون ودولة الروم/ تأليف طارق منصور. - القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م.
أ-د ١٠٤ ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ الوسيط؛ ١٠).
بيليوجرافية: ص١٠٢ - ١٠٤.
تدمك: ٠ - ٢١٢٣ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام. ٢- دولة الروم قبل ظهور الإسلام. ٣- دولة الروم والدولة الإسلامية. أ العنوان. ب- السلسلة.

دار الفكر العربي

رقم الإيداع: ٨٣٦٨ / ٢٠٠٦.

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردي بالعاشر من رمضان





تقديم السلسلة

التاريخ علم من أجلّ العلوم الإنسانية وأعلاها قدرا وأكثرها فائدة. ويتطلب علم التاريخ فيمن يمارسه التحلى بأمانة الحكم وصدق الكلمة وبُعد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضي لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يتمخض عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

إن الروايات التاريخية قد تتشابه في بعض أجزائها على مدى العصور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحداثه مع بعد المسافة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجسدي ومشاعره النفسية وتطلعاته وطموحاته.. على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مختلفة تسهم في تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجارب ربما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء، وكيف يتجنبها في الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبَّر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ في صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الهيئات الثقافية، فجعلوا للتاريخ حقه من الاهتمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وإحلاله في مكانته اللائق.

وتأتي مؤسسة **دار الفكر العربي** التي أسسها الأستاذ/ **محمد محمود الخضري**، التي تنهض بدور ملموس في مجال خدمة الثقافة العربية. والتي وضعت مشروعا للثقافة التاريخية، واستعانت في التخطيط لهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخصصين داخل الجامعات العربية وخارجها. كما وفرت الفكر لهذه السلسلة الإخراج الفني والتصميمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التي تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التاريخية ليسعدها أن تقدم هذا الكتاب الذي يصدر عن **دار الفكر العربي** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق في خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور



مقدمة

على مدى أحد عشر قرناً، هي عمر الإمبراطورية البيزنطية، أو دولة الروم كما أطلق عليها العرب، لم تر الأخيرة قوة مثل قوة المسلمين؛ الذين أثخنوا القسطنطينية بالجراح مراراً، حتى سال دم الروم في نهاية المطاف على أيدي السلطان العثماني محمد الفاتح عام ١٤٥٣م عندما دكت المدفعية التركية أسوارها، لتهوي الشخصية البيزنطية إلى الثرى، بعد أن عاشت في علبين ما لا يقل عن ألف عام أو يزيد قليلاً.

لقد دشن الإمبراطور قسطنطين الأول عاصمته القسطنطينية في عام ٣٣٠م لتكون "روما الجديدة"، وأحاطها بالأسوار والأبراج الشاهقة، التي كفلت لها الصمود في وجه الغزاة، الذين جاءوها من كل حدب وصوب، وعادوا جميعاً بخفي حنين؛ ولم تفتح أبوابها إلا على أيدي الصليبيين عام ١٢٠٤م عنوة. وبرغم الحصانة الطبيعية والصناعية لتلك المدينة، وشهرتها الواسعة في عالم العصور الوسطى، إلا أن المسلمين وجهوا جيوشهم شطر العاصمة البيزنطية، القسطنطينية، في محاولات ثلاث لإسقاط هذه العاصمة، زمن الخلافة الأموية، إلا أن هذه الحملات فشلت جميعاً. ومنذ تلك اللحظة بدأ البيزنطيون يدركون أن المسلمين قد تخطوا مرحلة تهديد الأطراف البيزنطية، لاسيما بعد أن استولوا على بلاد الشام وفلسطين ومصر وإفريقية، وبدأوا في السير نحو إسقاط القلب أو العاصمة البيزنطية ذاتها في محاولة منهم لفتح بيزنطة كما سبق وفتحوا فارس من قبل، وقد قوّى هذا الشعور لدى البيزنطيين، إنشاء المسلمين لأساطيل إسلامية في ترسانات بلاد الشام ومصر، استطاعوا بفضلها انتزاع السيادة البيزنطية على حوض البحر المتوسط، الأمر الذي دفع البيزنطيين إلى القيام بمحاولات يائسة لاسترداد السيادة الضائعة على البر والبحر، فقاموا بشن هجمات عدة على سواحل مصر وبلاد الشام، إلا أن معظمها باء بالفشل، ولم تفتّ في عضد المسلمين، بل على العكس زادتهم حمية وقوة لاستكمال حركة الفتح والجهاد ضد البيزنطيين.

وفي هذا العمل الفكري المتواضع، الذي نقدمه للقارئ العربي والمثقف في المقام الأول، وليس للأكاديميين المتخصصين في تلك الحقبة التاريخية، نحاول رصد العلاقة بين القوتين العظميين في العصور الوسطى قوة الدولة الإسلامية وقوة دولة الروم، أو الإمبراطورية البيزنطية



بالمفهوم الحديث. وقد آثرنا عدم حشو صفحات العمل بالهوامش الأكاديمية التي قد تثقل على القارئ العام، وحاولت قدر الإمكان تبسيط المعلومة التاريخية حتى يسهل على القارئ تصفح الكتاب في سهولة ويسر، دون الإخلال بالمعنى أو الحقيقة التاريخية.

لقد حاول المؤلف بقدر الإمكان، وبأقل قدر من تفاصيل الأحداث، أن يقدم عرضا مبسطا لتاريخ العلاقات بين الروم والمسلمين، في الفترة منذ ظهور الإسلام وحتى انهيار الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني، الذي سادت فيه روح الاستقلال في الولايات التابعة لبغداد، ثم شهدت فيه قيام خلافة أخرى شيعية بمصر وإفريقية، هي الخلافة الفاطمية، ويمكن القول أنه في تلك الفترة لعب الحمدانيون الدور الرئيسي في صد المد البيزنطي تجاه العالم الإسلامي، ولولاهم لتمكن الروم من استعادة بلاد الشام وفلسطين ثانية من أيدي المسلمين، في فترة تولى حكم بيزنطة فيها أباطرة أكفاء عرف عنهم البطولة والشجاعة أمثال نقفور فوقاس، ويوحنا تزيمسكس، وباسيل الثاني.

وفي الختام تبقى كلمة شكر إلى أستاذي المرحوم أ. د. رأفت عبد الحميد لثقته الغالية في واحد من أبنائه الباحثين وقيامه بتكليفي بهذا العمل، فله مني خالص الشكر والتقدير. كما أتقدم بخالص الشكر إلى القائمين على أمر إصدار هذه الموسوعة التاريخية بمؤسسة دار الفكر العربي، لتبنيهم هذا العمل الشاق وإصرارهم على إخراجه إلى النور عسى أن يفيد منه القراء والمثقفين من أبناء أمتنا العربية، فلهم كل الشكر والتقدير.

المؤلف

د. طارق منصور

مدينة نصر - القاهرة





احتلت شبه الجزيرة العربية موقعا جغرافيا ممتازا جعلها مركزا للصراعات السياسية والدينية آنذاك، فهي تحيطها المياه من شرقها وغربها وجنوبها فضلا عن اتساع مساحتها، ولكن بالرغم من هذا فقد كانت شبه جزيرة صحراوية أو شبه صحراوية بمعنى أصح، فقد اعتمد سكانها على الأمطار التي نادرا ما تسقط هناك، لوقوعها في المنطقة المدارية شديدة الحرارة صيفا معتدلة شتاء. كذلك لم تنشط الحياة الزراعية هناك بعكس وادي النيل أو بلاد ما بين النهرين. كان لكل هذا أثره على سكان الجزيرة العربية فعمل البعض منهم بالتجارة، حيث كانت تخرج كل عام رحلتا الشتاء والصيف، أما الغالبية منهم فقد عملت بالرعي. كذلك لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة الآن، ولم يكن لهم قضاة نظاميون يحتكمون إليهم، بل كان الجميع يدين بالسلطان إلى زعيم



طرق التجارة في الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام



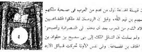
القبيلة، كذلك لم يكن لهم جيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية التي حاقت بهم مرارا، ولم يكلفوا أيضا بدفع الضرائب لعدم وجود حكومة تقبض على زمام السلطة التنفيذية وتضرب على أيدي المعتدي وتوقع عليه العقاب المتناسب مع جرمه وإنما كان واجبا على الشخص المعتدى عليه أن يثأر لنفسه بنفسه وعلى قبيلته أن تشد أزره.

وقد يسقط هذا الثأر عندما دفع المعتدي الجزية أو تعويضا مناسبا تقدره القبيلة المعتدى عليها. وكانت كل قبيلة تعتبر وحدة سياسية قائمة بذاتها لها كيانها المستقل، وكثيرا ما كانت تقوم المنازعات بين إحدى القبائل والأخرى أو تغير واحدة منها على الأخرى، فكان يخرج أفراد القبيلة الذكور حاملين أسلحتهم ليكونوا جيشا على قدر قبيلتهم، يهاجمون به القبيلة الأخرى، وبعد عودتهم ينصرف كل فرد إلى عمله تاركا سلاحه قيد طارة أخرى. هكذا كانت الجيوش قائمة على العصبية القبلية آنذاك، وكانت معظم إغاراتهم إما بهدف الثأر أو النزاع على الكلأ والمرعى، التي كانت سببا في كثير من إغاراتهم على أراضي الروم. وقد صنعت القبائل من انتصاراتها ملاحم شعرية تغنى بها الشعراء آنذاك في الجاهلية، ومن أشهر تلك المعارك التي قامت بين العرب آنذاك يوم داحس والغبراء، وحرب البسوس، وأيام الفجار. وكان الأحرار من العرب يحاربون تحت إمرة سيدهم في وقت الحرب، أما في وقت السلم فقد كانت الأسرة هي الشيء الوحيد المنظم.

وقد أقامت القوى العظمى آنذاك ممالك عديدة لها في المنطقة كان أشهرها إمارتي الحيرة والغساسنة. الأولى أقامها الفرس، أما الثانية فأقامها الروم.

إمارة غسان :

كان من نتيجة الصراع الذي نشب بين الفرس والبيزنطيين وكذلك إغارات العرب على أملاك الدولة البيزنطية، أن أقامت الدولة البيزنطية إمارة تابعة لها هي إمارة غسان، والتي يعود تاريخها إلى الفترة التي خرب القادة الرومان فيها مدينة تدمر في عهد الإمبراطور أورليانوس Aurelianus سنة ٢٠٢م وفوض الرومان أمورهم في هذه المناطق إلى الأمراء التنوخيين ثم إلى السليحيين الذين أزالت قبيلة غسان ملكهم عام ٣٩٩م. ولما كانت بلاد الشام تؤلف منطقة الحدود الجنوبية الشرقية في الإمبراطورية البيزنطية، كان على أباطرة الروم أن يهتموا بهذه المنطقة ويحظوها من عنايتهم النصيب الأوفر؛ ولذلك أغدقوا الأموال على بعض القبائل العربية حتى استطاعوا اتخاذهم صنائع لهم على تخوم البادية، يستعينون بهم في صد غارات البدو الذين كانوا يغزون المناطق المتحضرة وينهبونها.

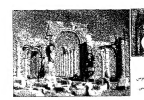


وكان قبيلة قضاعة أول من قدم من العرب في صحبة ملكهم مالك بن فهيم بن تيم الله، وقيل أن الرومان قد ملكوا القضاعيين على من ببلاد الشام من العرب بعد أن دخلوا في النصرانية وأصبحوا صنائعهم، ولم يلبث أن انتقل الملك إلى بنى سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وفي نفس الآونة تحركت قبائل الأزد اليمنية على أثر انهيار سد مأرب إلى شمال الجزيرة العربية فسار بطن منها إلى الشام وأقاموا على ماء هناك يقال له غسان، وما زالت غسان بجوار سليح فرضت عليهم الإتاوة وظل الغساسنة يؤدونها حتى قامت الحرب بينهم وانتصرت غسان في النهاية وانفردت بالسلطة دونها، ويقول الأصفهاني، "إن أول من ملك من غسان، جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء وكان الذي ملكه على عرب الشام ملكا يقال له نسطورس فلما ملك جفنة قتل ملوك قضاعة من سليح من الذين كانوا يدعون الضجاعمة ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم وبنى جلق والقرية وعدة مصانع".

وكان الحارث بن جبلة أول أمراء بنى جفنة وأعظمهم شأنا بلا منازع وقد اختاره الإمبراطور جستنيان حوالى عام ٥٢٩م ليكون بجانبه ضد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة. وقد رفع جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م الحارث إلى مرتبة الملوك وبسط سيادته على كثير من قبائل العرب بالشام حتى يقيم خصما قويا في وجه المنذر ملك الحيرة. ويستبعد أن يكون الحارث، أو أحد خلفائه قد حمل رسميا لقب ملك لأن هذا اللقب كان خاصا بالإمبراطور البيزنطي وحده، كما أن الوثائق التي تمثل لغة الحكومة الرسمية أطلقت على الحارث وخلفائه لقب بطريق Patricus أو رئيس قبيلة Phalarch.



بقايا سد مأرب في اليمن





مدينة تدمر - قوس
الشارع الرئيسي

وحالف الغساسنة الروم محالفة تامة ثابتة ضد الفرس والعرب المقيمين على أطراف مملكتهم (اشترطوا أن يمدوهم بثلاثين أو أربعين ألفاً إذا حاربهم العرب، وأن يمدوا الروم بعشرين ألفاً من المقاتلين إذا تحاربوا مع الفرس)، ولقد شقت إمارة غسان عصا الطاعة مرات عديدة على الروم، حسب



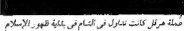


مدينة الرصافة في بادية سوريا









عملة هرقل كانت تتداول في الشام في بداية ظهور الإسلام



بقايا سور الطائف
واحد حصونه

رواية يوحنا الإفسوسي، ولكن لظروف العامة آنذاك كانت تحتم عودتها ثانية لتسير في فلك أباطرة الروم. وقد وقف الغساسنة بجانب الروم في عهد الإمبراطور هرقل ٦١٠-٦٤١م في حروبهم ضد الدولة الإسلامية إلى أن فتحت أراضيهم وأسلم معظمهم. وهكذا انتهت إمارة غسان التي كانت خير حليف للدولة البيزنطية في بلاد الشام.

ونعود للحديث عن العرب وأحوالهم قبيل ظهور الإسلام ثانية بعد أن استعرضنا إمارة غسان، وهي الإمارة العربية التي حالفت الروم سنوات طوال. كان

الدرهم الفارسي مرسوما عليه الملك الفارسي خسرو الثاني



سكان الجزيرة العربية يعملون بالتجارة الأولى بالنسبة لمن في شبه عصب الحياة الاقتصادية هناك. فقد كانت الجزيرة العربية فقيرة في المراعي والأرض الزراعية مما جعل سكانها يحترفون التجارة، وكانت قريش من أول القبائل العربية وأهمها، علاوة على ما لها من سيادة في مكة، وكانت القبائل هناك تقوم برحلتين تجاريتين في العام هما رحلة الصيف ورحلة الشتاء. وقد عقدوا المعاهدات مع البيزنطيين والفرس لتأمين تجارتهم، وكانوا يتعاملون بالدرهم الفارسي والدينار البيزنطي. ومن هنا نستطيع أن نعرف فضل التجارة أين كان موقعها في نقل الحضارة من منطقة لأخرى وبين أهميتها في تطور الشعوب، مما جعل العرب في شبه الجزيرة العربية يملكون قدرا من الحضارة الإنسانية.

لقد كان العرب ينظرون إلى دولة الروم على أنها واحدة من القوى العظمى التي لا يمكن قهرها، لما كان لها من حضارة عريقة وانتصارات عسكرية سجلها التاريخ، وكنيسة متفردة تجتمع حولها الشرق، فقد امتدت الحضارة المسيحية إلى المناطق المتاخمة للدولة البيزنطية وخاصة بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية وهي ولايات تابعة لها. وكانت القسطنطينية هي العاصمة المركزية لها وهي كانت بالنسبة للعرب لقمة عصية لا يجرؤ أحد ممن يقطنون جوارها أن يفكر في اقتحام هذه العاصمة والنيل منها، وخاصة أن الأباطرة البيزنطيين أحسنوا اختيار موقعها، وتفوقوا في تحصينها بر وبحر.

وكان البيزنطيون ينظرون إلى العرب نظرة دونية، فقد رأوا فيهم مجرد بدو يعيشون على أطرافهم يجب إيقافهم عند حدهم. وكان انشغالهم الدائم أيضا بالصراع مع الفرس سببا في عدم تفكيرهم بالتعرف عن العرب الفاعلين في الجزيرة العربية، وقد بدا هذا في حساباتهم بخطوط عن خواص العرب، والتي انعكست بدورها في صراعاتهم مع الفرس في منطقة الجزيرة العربية.

أما عن الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية، فقد انتشرت عبادة الأصنام التي هي موروث وكانت الأصنام هي عبادة الشعراء العرب ومعظم سادتها، ومن ذلك اللات، والعزى، وهبل، وكلها أصنام كان لهم فيها اعتقادات كثيرة كما انتشرت اليهودية هناك قبل مجيء الإسلام ولاسيما في اليمن كما انتشرت في



... ... ذهب حالة العديد من القبائل اليهودية. ويذكر أحد ... من أن هؤلاء اليهود كانوا من قبائل الجزيرة العربية ثم اعتنقوا اليهودية وكانوا ... في الشمال بلديهم ... يرى فريق آخر من ... من أن اليهود ... نزحوا إلى فلسطين حيث نشروا تعاليم ... فيما بعد.

وانتشرت بعد المسيحية هناك في قبائل تغلب وغسان وقضاعة شمال الجزيرة العربية وفي ... ، وكانت على مذهبي النسطورية، واليعقوبية، وكانت أهم مراكز النصرانية في بلاد ... العرب حيث يعمل أهلها بالزراعة والصناعات الحريرية والتجارة. هذا علاوة على انتشار ... ديانات ومعتقدات الأخرى كالمجوسية والصابئة وعبادة الأشجار والحيوانات وكلها عبدت ... أصل.



الفصل الثاني
دولة الروم قبيل ظهور الإسلام



كانت الإمبراطورية البيزنطية بالنسبة للعرب لما كانت أجنحتهم ومنذ قديم الأزل تحصن حصن منيع لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه، لذا كان الجميع ينظرون إليه بريبة وحذر، ومن ثم يتحاشون الاقتراب منها عاشوا مستضعفين.

لقد كانت الإمبراطورية البيزنطية منهكة القوى وبطيئة الحركة حتى أوائل القرن السادس الميلادي وصاحب هذا اعتلاء هرقل عرشها الإمبراطوري سنة ٦١٠م ويرجع هذا لعدة أسباب منها القريب ومنها البعيد. أما عن السبب القريب فيتمثل في الثورة من أجل حكم الإمبراطور موريس وما صاحبه من فوضى، فقد كان يحدث أن يخطط ويدبر وينتهز الفرصة ليقوم بانقلاب على الحكم يساعده فيه بعض أعوانه ورفاقه ثم سرعان ما يتآمر لمصلحته بعد ذلك ويعمل من أجل مصالحه الشخصية، خير مثال على ذلك فوقاس Phocas ٦٠٢ – ٦١٠م لدى

كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية (مسجد السلطان محمد الفاتح الآن باستنبول)



بعد عين إمبراطورا بعد أن أنساه الجنود من معظم التعبيرات التي وجهها لاسم هذا موريس Maurice ٥٨٢ - ٦٠٢م على النظام التالي في عرشه فضلا كل منهم إلا أن هبوط تأثير على الإمبراطور موريس وسعى لأمر باغتياله وتلا هذا تتويج ضابط شاب من بينهم يدعى فوقاس Phocas الذي استبد بالإمبراطورية وراعى مصلحته الشخصية دون مصالح شعبه وازداد الطين بلة الكوارث التي حلت بالإمبراطورية في عهده والتي كان من المفروض أن يتخلص منها ويجد مخرجا للإمبراطورية منها. فقد بلغ الإمبراطور فوقاس ٦٠٢ - ٦١٠م درجة من سوء الأخلاق، جعلت المؤرخين البيزنطيين يطلقون عليه صفة الطاغية، فقد سخر البلاد لصالحه، واغتصب النساء والفتيات بعدد دون رحمة، حتى لم يعد الشعب البيزنطي قادرا على تحمله. أما على الصعيد الخارجي فقد بدأ الفرس يطالبون بالثأر لمقتل الإمبراطور موريس، صديقهم، وبدأوا يعدون العدة لغزو الأراضي البيزنطية. إزاء كل هذه الأحداث قرر السناتو في القسطنطينية أن يرسل رسالة إلى هرقل حاكم ولاية أفريقية البيزنطية كي يهب ويحشد قواته ويأتي لنجدة البلاد من براثن فوقاس بعيص.

الإمبراطور جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م يتوسط حاشيته فسيفساء من كنيسة سان فيتال - رافنا



وقد قرر هرقل الإسراع بنجدة البلاد بسبب [illegible] الشتاء، حيث أرسل أمه وسميه هرقل إلى القسطنطينية [illegible] بسوني على [illegible] الأمير هناك، حيث توج إمبراطورا على الإمبراطورية شرطة بعد مقتل فوكاس. كان هذا هو السبب القريب الذي ساهم في تقييد حركة الإمبراطور به بعض الشيء، وجعلها تبدو [illegible] مقيدة الحركة مشلولة الفكر. أما السبب البعيد فهو يرجع إلى عصر الإمبراطور جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م الذي تمكن [illegible] القديمة في توحيد شطري الإمبراطورية الغربي والشرقي، وأن يجعل من نفسه إمبراطورا رومانيا، فقدم سلسلة من الحروب التي لم تنقطع طوال فترة حكمه للإمبراطورية فترة بعد فترة، فتارة مع الفرس ويتوجه الغرب اللاتيني لإخضاعه لحكمه وتارة يتجه لمحاربة الهراطقة الأريوسيين ليكسب سلطة [illegible] في صفه وليجعل [illegible] نفوذهم وقواهم من أجل مشروعه الطموحة التي جنت على الإمبراطورية الدمار والخراب من بعده إلى أن جاء هرقل سنة ٦١٠م وأبصر شبه [illegible] هي بيت خربة الخاوية التي لم يستطع أحد الأباطرة من بعده أن يعيد إليها شبابها وحيويتها، ومثل [illegible] في الغد التي قضى عليها وعلى [illegible] والتي كان من الممكن أن يستفيد منها لصالح الإمبراطورية مثل روما Roma ورفنا Ravenna وغيرهم من المدن الإيطالية [illegible] عدت الإمبراطورية [illegible] بعد موته، حتى [illegible] هرقل [illegible] مشاكلها [illegible] شرقية [illegible] عهد هذا الإمبراطور الشاب هرقل بدأت الإمبراطورية تتخذ سمات وملامح بيزنطية خاصة من حيث الشكل والمضمون. وبهذه الطريقة انتهى حلم جستنيان الذي ظل يحلم به طويلا وضحى بنفسه كثيرا به. ولكن يبدو أن جستنيان كان السبب في هذه الأوضاع المتردية التي أصابت الإمبراطورية البيزنطية من بعده فقد أهمل الجيش بعد أن أنهك قواه في الحروب طيلة حكمه وبعد أن بدأ الملل يتطرق إلى جنوده، بل إن السكان أنفسهم بدأوا يتأففون من سوء أحوالهم، وقضى على اقتصاد الدولة وجعله مستنزفا، وهكذا أمست الخزانة خاوية تماما بعد أن بدد أموال الشعب من أجل تحقيق حلمه. ولم يكتف بهذا بل شيد العديد من العمائر والمباني التي أرهقت الخزانة وأرهقت الشعب نفسه الذي عانى كثيرا من السياسة المالية المتشددة الصارمة في نفس الوقت.

على أية حال، اعتلى هرقل ٦١٠ - ٦٤١م عرش الإمبراطورية بعد أن استطاع أن يقضي على فوكاس كما أسلفنا وكانت الأحوال العامة داخل الإمبراطورية لا تبشر بخير أبدا، فمن ناحية [illegible] محاربة الإمبراطورية البيزنطية ثانية وخاصة مع سياسة فوكاس المتشددة والمتعجرفة [illegible] وهم دائما هدفا من ناحية. أما من الناحية الأخرى فقد [illegible] هددوا [illegible] تراقيا Thrace وإيلليريا، أما السلاف فقد انتشروا في كل مكان من شبه جزيرة [illegible] دون أية مقاومة. لقد استطاع فوكاس أن يقضي على كل ما تبقى من معالم الاستقرار والاستمرار في الحكومة البيزنطية ولم يكن فوكاس هذا أهلا للتحديات التي واجهت الإمبراطورية [illegible]



[illegible] حفص [illegible] الإمبراطورية [illegible] وقد كان على هرقل أن يجد كل [illegible] لاستعادة أموالها وحصة لسكان عاصمته القسطنطينية، [illegible] بصلا لخزانة البيزنطية ثانية، وأن يصلح من أحوال شعبه [illegible] بعض أسلافه في أن شعروا عليه بهذه [illegible].

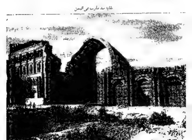
[illegible] هرقل مدى صعوبة مهمته لدرجة أنه فكر في العودة [illegible] لا عتراض سكان العاصمة واعتراض البطريرك [illegible] وذهب حول الإمبراطورية لتردية في [illegible] في أن [illegible] بكرة في [illegible] الإمبراطورية [illegible] الآثار [illegible] الكلمة على [illegible] على غيرهم من [illegible] في أنهم كانوا يرتون المناطق ينهبونها ويسلبونها ثم يعودون سطر [illegible] ثانية، بعكس أسلاف الذين كانوا يستقرون في المناطق التي يرتون بها بعد أن ينهبوها وقد [illegible] المعاصر أن يستولي على شبه جزيرة [illegible]، ولم يكتفوا [illegible] جنوبي [illegible]، إذ [illegible] إقليم تراقيا ووصلوا في إغاراتهم حتى أسوار [illegible]، كما هاجم [illegible] أيضا إقليم دالماشيا Dolmatia وفي نفس الوقت استمر [illegible] الفرس على الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ففي سنة ٦١١م [illegible] هجوم الفرس على [illegible] حيث هزموا [illegible] بالفرس من انطاكية عام ٦١٣م، [illegible] هذا كله وجب على هرقل أن ينهض [illegible] لمواجهة هذه الأخطار السابقة الذكر.

ومن [illegible] بالذكر أن [illegible] الفرس استطاعوا أن يسقطوا دمشق في قبضتهم عام ٦١٤م [illegible] أن يسقط بعد ذلك بقليل، وحملوا الصليب المقدس، وهو أقدس أثر [illegible] إلى بلاد فارس، واستطاعوا دخول مصر أيضا، وأصبحت مصر ولاية فارسية مدة عشر سنوات. وكان سقوط مصر في أيدي الفرس ضربة قاصمة للإمبراطورية البيزنطية؛ لأن مصر كانت [illegible] للإمبراطورية البيزنطية بغلالها الوفيرة وأموالها الكثيرة ومدنها العريقة، وكان على بيزنطة أن [illegible] لاستردادها مرة ثانية. وقد استطاعت القوات الفارسية أن تصل إلى أعماق آسيا الصغرى حتى مدينة خلقدونية وهو ما لم يحدث منذ عهد الملك دارا Dara، وإكسركسيس Xerxes وقد [illegible] هرقل حتى أنه فكر في نقل مقر حكومته إلى [illegible] حكم من هناك. وقد استطاع هرقل أن يرتب شئون دولته الإدارية من الداخل، [illegible] من مذهب المونوفيزيتي ومذهب الإمبراطورية [illegible] أن يجد صيغة مشتركة [illegible] من الاختلافات المذهبية التي عمت دولته، كما أن هرقل [illegible] جيش من العناصر الوطنية، وبهذا وضع قاعدة جديدة [illegible] على [illegible] أمر الاعتناء بالجيش إلى أنه قام بنفسه الإشراف على [illegible]، ثم قام بنسخ الكتب العسكرية البيزنطية التي تعنى [illegible] ولم يكتف هرقل بتلك الإصلاحات، بل تعداها إلى ابتكار نظام إداري جديد يسمى [illegible]

الشمال أي "الأقاليم العسكرية" وقد بدأ هرقل في عام ٦٢٢م، سلسلة من الحروب ضد الإمبراطورية الفارسية، وانتهت بنصره في النهاية، ودخوله العاصمة الفارسية، وهزم وعين على عرش فارس.

وقد صمم هرقل على ضرب الفرس في عقر دارهم بدلا من استرداد مصر وبلاد الشام. وقد تمكن من تنفيذ مشروعه بنصر في أقل من ست سنوات (٦٢٢ – ٦٢٨) وفي سنة ٦٢٢م خرج هرقل بجيوشه من القسطنطينية بعد أن تركها تحت إمرة البطريرك سرجيوس والبطريق بونوس كوصيين على ابنه الصغير. وقد تحرك هرقل على رأس جيشه إلى بلاد فارس بعد أن رفض كسرى أبرويز دعوة هرقل لتسبيه للصلح. وقد استطاع هرقل أن يلحق بجيوش كسرى هزيمة سريعة في عام ٦٢٢م. وفي العام التالي ٦٢٣م نزل هرقل بجيوشه في إسوس Esoss بآسيا الصغرى واستطاع أن يهزم القوات الفارسية أيضا في هذا العام في معركة فاصلة بها. وفي السنتين التاليتين ٦٢٤، ٦٢٥م استطاع هرقل، أن يحتل أرمينية، واتجه إلى زيادة أعداد جيشه بتجنيد قبائل كولخيس والكرج لإيبرية. وفي عام ٦٢٦م استطاع كسرى أن يجمع جنوده من كل فج ويحشدهم بقيادة

بقايا سد مأرب في اليمن





معركة حاسمة سحق فيها هرقل جنوده. وكاد حظه أن يحرق أحد جنوده حيث هرقل بينما يتجه شطره الآخر لمحاصرة العاصمة بيزنطة ومهاجمتها، وفي نفس الوقت تمكن معهم خاقان الآفار على أسوار القسطنطينية من الشمال أيضا، ولكن هرقل أنقذ عاصمته حيث بعث أخاه شطرا من جيوشه للعاصمة للدفاع عنها في الوقت الذي استبسل فيه البطريرك سرجيوس، وبونوس في الدفاع عن مدينتهم. وسرعان ما سحب الآفار وحلف الهزيمة بجيش الفرس الآخر. وفي هذه الأثناء أتم هرقل استعداداته ليوجه الضربة القاضية في فارس في أواخر السنة التالية، إذ هبط إلى وادي دجلة وشتت شمل آخر جيش فارسي، ثم استولى على قصر كسرى بعد أن استولى على مدينة دستاجرد، وانسحب كسرى إلى المدائن. وفي ربيع سنة ٦٢٨م هب الفرس ثائرين على كسرى وانتهى الأمر بقتله وتولية ابنه مكانه، حيث عقد الصلح مع هرقل نتج عنه استرداد بيزنطة جميع أراضيها التي فقدتها من قبل.

ومن الجدير بالذكر أن شيرويه بن كسرى السالف ذكره توفي بعد ذلك ببضعة أشهر وحين قبل وفاته أن يصبح هرقل وصيا على ابنه الصغير. ولا شك أن هذه الوصية قد أضفت هيبة وجلالا لهرقل وزادته نصرا على نصره ونالت من كرامة الفرس مقدار أعاد للروم كرامتهم؛ وقد تمكن هرقل من إعادة الصليب المقدس ثانية. وبهذا النصر تحققت الآية الكريمة التي بشر بها الله مسلمين بانتصار الروم على الفرس والتي قال فيها:

﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾ [الروم]

وبعد انتصارات هرقل وعودته إلى القسطنطينية في عام ٦٢٨م جاء، وهو في طريقه من الشام إلى عاصمته كتاب محمد ﷺ الذي بعث به في العام السادس من هجرته سريعة كما سيرد إن شاء الله.

وقد عاد هرقل إلى القسطنطينية بعد نصره العظيم الذي أحرزه على الفرس وسط موكب مصر وتهليل التي أعادت للدولة البيزنطية شيئا من الانتعاش والثقة بالنفس.

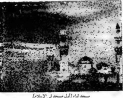
أما عن الآفار فقد كانت هزيمتهم التي لحقت بهم حول أسوار القسطنطينية هزيمة أسطولهم في سحر أشد من الصاعقة عليهم، وكانت عاملا مهما في تلاشي نفوذهم، وسقط بهم مع ذلك الأمور بعد ذلك، حيث انقلب عليهم الصقالبة والبلغار وشهدت السنوات التالية قيام أول دولة صقلبية في مورافيا Moravia وتلاها إنشاء إمارة في دلماشيا Dalmatia وفي دولة.

وهكذا أمن هرقل حدود دولته من كل جانب واتجه للإصلاحات الداخلية ولكن سرعان ما نهض عدو لم يكن في حسبانه، ألا وهي المسلمون.



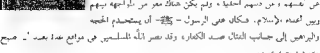


ولد محمد ﷺ بمكة سنة ٥٧٠م تقريباً، في عام الفيل ويُسمى [illegible] في واحدة من أشرف قبائلها وهي قريش. وكان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ترعى هناك وعمل بالرعي والتجارة وبلغ من حسن سيرته بين الناس في مكة أن سمي باسم " الصادق الأمين " وكذ يصل سنه بدون الوحي عليه برسالة الإسلام والقرآن الكريم، وشيئاً فشيئاً انتشر في مكة والمدينة وقد دعى الرسول ﷺ العرب للدخول في الإسلام في كل مكان بشخصية محبوبة ومستطع بالصبر والحزم والأخلاق الكريمة أن ينشره بين العرب أجمعين. وقد صار الإسلام على [illegible] عقيدة وثقافة وحضارة، يصبح قوة عالمية لها [illegible] على الصعيد الدولي في عصور الوسطى.


مسجد قباء أول مسجد في الإسلام

يبدأ أن نعم [illegible] في سبيل الإسلام شيء هي الهجرة النبوية من [illegible] حتى بدأ المسلمون يواجهون شريحتهم عند [illegible] وحتى [illegible] استطاع الرسول ﷺ أن يدعم [illegible] جديد وأن [illegible] من [illegible] على ذلك [illegible] في حروبه ضد الكفار والمشركين

[illegible] أول [illegible] للمسلمين وأصبح الإسلام منذ يومها قوة قادرة على الرد على [illegible] الإسلام في [illegible] وأثناء وجود المسلمين في المدينة شرع الله الجهاد، وكان لواء [illegible] أن [illegible] لم يعتدوا [illegible] ما أمره الله بهم وهو القتال في سبيل نشر الدعوة الإسلامية [illegible] القتال والجهاد في سبيل الله دفاعاً عن أنفسهم ضد [illegible].



وقد عني صحبه إيذاء الكفار للمسلمين من هاجروا إلى المدينة إلا أنهم عمدوا بعد ذلك ولم يتركوهم حتى أسرعوا إليهم في جمعهم من جمع مكة، وأذاقوهم شتى أنواع العذاب. وقد أحس الرسول ﷺ بما دبره من كيد للإسلام والمسلمين، ومحاولاتهم مكر حيلهم عصبة عليه وعلى أتباعه فكان على المسلمين أن يتخذوا الحيطة للدفاع عن أنفسهم ومن دينهم الحنيف، ولم يكن هناك مفر من المواجهة بينهم وبين أعداء الإسلام. فكان على الرسول ﷺ أن يستخدم الحجة والبراهين إلى جانب القتال ضد الكفار، وقد نصر الله المسلمين في مواقع عدة بعد أن صبح بعد فريضة عليهم.

والجهاد في الإسلام هو دعوة لنظرة جديدة في الحياة تؤدي إلى بناء مجتمع تتلاشى فيه مفاهيم النعرة القبلية ويحل محلها نظم سامية تكفل لأتباعها الطمأنينة والعدالة والمساواة؛ لأنها تقوم على تعاليم جاءت من لدن عزيز حكيم، وللجهاد آداب عدة. وقد دعم الله تشريعه بالجهاد بآيات عدة منها قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. وقد استطاع الإسلام أن يؤلف بين قلوب العرب لذلك، وأن يجمعهم على عقيدة واحدة ولغة واحدة، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية أساساً في تشييد حضارة عريقة عاشت قروناً طويلة، فمنه استمد المسلمون عقيدتهم الروحية، ومنه نظموا قوانينهم وآدابهم ومعاملاتهم.

بعد ظهور الإسلام أصبح العرب أمة واحدة، لها حكومة نظامية كان مقرها المدينة، وعلى رأس الجهاز الحكومي كان الرسول ﷺ وعماله على القرى والمدن الأخرى، واتخذ من المدينة مقراً له وعاصمة مركزية للدولة الإسلامية.

كذلك خلق الإسلام تضامناً بين أجناس عدة تحت راية واحدة هي راية الإسلام ولغة واحدة هي اللغة العربية التي توثقت بنزول القرآن بها. وقد أصبح المسجد الحرام قبلة يتوجه إليها المسلمون في شتى أنحاء الأرض، كذلك غدا المسجد النبوي بعد الهجرة داراً يجتمع فيها المسلمون بالرسول ﷺ يتشاورون في أمور دينهم ودنياهم، وقد أقر الإسلام نظام الشورى في الحكم من عهد الرسول ﷺ واستطاع أن يقضي على العصبية القبلية التي كانت سائدة في الجاهلية، وأصبح للمدينة مركزية السيادة العليا التي يُرجع إليها، وآلفت التشريع بين الناس وأقر حقوقهم.

أما من ناحية التنظيم العسكري فيمكن القول أنه في ظل مبدأ: الجهاد الإسلامي خرج كل من عنده حمل السلاح للجهاد في سبيل نشر الدعوة وصد الكفار. وكان الرسول ﷺ على رأس هذه الجيش ومعه صحابته ومعه المسلمين واتخذ العديد من الأسلحة للتعبئة، وقد عرف المسلمون

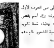


صورة حديثة للمسجد النبوي بالمدينة المنورة

نظام تعبئة جند أسلوبا لقتال، ففي عهد الرسول ﷺ كان الفرسان يخرجون للحرب ومعهم المشاة مترجلين ومترجلين، أما فيما بعد في العصر الأموي، فكانت الجيوش الإسلامية تقسم إلى خمس فرق، ميمنة وميسرة، والقلب ثم المقدمة ثم مؤخرة الجيش.

ويقول توماس أرنولد نقلا عن فرد كريمر "وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد، حيث انتظم شملها حربياً بسرعة مدهشة تبعث على الدهشة والإعجاب. وإن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة. هكذا كان ...

المسجد الحرام قبلة المسلمين





نموذج من رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء - (الرسالة التي أرسلت إلى كسرى)

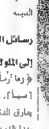
التي لم تعرف لأول مرة، وإن لم يقض عليها نهائياً، شيئاً ثانوياً بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية.

رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (٢٨) [سبأ]... هكذا كان على الرسول ﷺ قبل أن يفارق الدنيا أن يرسم الطريق أمام أصحابه للخروج بهذا الدين من حدود الجزيرة العربية وإبلاغه للناس أجمعين. وقد سلك الرسول الكريم في سبيل هذا طريقين الأول، وهو الطرق السلمية التي اتبعها مع الملوك والأباطرة بالرسل والكتب التي أرسلها إليهم ومنهم هرقل إمبراطور الروم فكان هذا الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ إلى هرقل بداية للعلاقات الرسمية بين الرسول ﷺ وأباطرة الروم. أما الطريق الثاني، فهو الجهاد أو استخدام القوة العسكرية في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وقد رأى الرسول ﷺ أصبح الطرق السياسية في المعاملات بينه وبين الأمم الأخرى، أرسل كتبه إلى الإمبراطور هرقل إمبراطور الروم يدعوه فيه إلى الإسلام وقد وصلنا نص هذا الكتاب في المصادر الأدبية كالطبري وغيره، وهذا هو نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل قيصر الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٦٤)﴾ [آل عمران]. هذا هو نص الرسالة كما ورد في المصادر الأصلية والتي دعا فيها الرسول ﷺ هرقل بكل سماحة للإسلام أو الدخول في الدين الحنيف. ولا شك أن الرسول ﷺ كان على علم بأن هرقل هو عظيم الروم قولاً وفعلاً، والممثل له السطوة والعظمة في البلاد، وخاصة بعد علاقاته الخاصة مع بلاد العرب، وكما يقال إن الناس على دين ملوكهم، ومن هنا ... هرقل





الإسلام حدا الناس حوله. وقد أرسل الرسول ﷺ برسالة مع دحية الكلبي عام ٦هـ/٦٢٧م. وقد كان لهذه الرسالة أثر كبير على هرقل نفسه. وينكر بعض المستشرقين إرسال الرسول ﷺ هذه الكتب، كما يدعم هذا الادعاء من وجهة نظرهم أنهم لم يعثروا على أية وثائق أو مخطوطات تدل على إرساليه عند هؤلاء الملوك والأمراء. من المحتمل أن نص هذه الرسائل قد فقد بسبب مرور الزمن، علاوة على أن نص هذه الرسائل قد وصلنا في المصادر الأصلية العربية.

ويقول البعض الآخر من المؤرخين أن الرسول ﷺ لم يخرج من الجزيرة العربية ولا يعلم شيئا بأحوال البلاد المجاورة لها، ولكن يثبت التاريخ أن الرسول ﷺ كان يعمل بالتجارة بين الجزيرة العربية والبلاد المجاورة من قبل أن ينزل عليه الوحي ليبلغه بالدعوة للدين الجديد، وأنه كان على دراية بأحوال الدولة البيزنطية لكثرة سفره إلى الشام. وتدل كلمة الأكاريين التي وردت في رسالته إلى هرقل على أنه كان على علم بالصراعات المذهبية في الدولة البيزنطية.

وقد أرسل الرسول ﷺ أيضا كتابا إلى قيرس أو المقوقس بمصر وهو الذي كان يحكمها من قبل الدولة البيزنطية. وقد تلقى المقوقس كتاب الرسول ﷺ بكل الترحاب والسعة لأنه كان يعلم بأنه سوف يخرج نبي جديد في الأرض. وقد أكرم أعضاء بعثة رسول الله ﷺ وحملهم بالهدايا والأموال إلى الرسول ﷺ ورد عليه بقوله «قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه الشام - وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله - فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني في اتباعه ولا أحب أن يعلم بمحاورتي إياك». وقد كان لهذه البعثة أثر كبير، فقد أرسل المقوقس للنبي ﷺ مارية القبطية كجارية ضمن هداياه، فتزوجها النبي وكانت وصيته الشريفة للمسلمين «إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم فيكم **صهر وذمة**».

وسوف نعرض الآن لأثر الرسالة التي أرسلها النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم. فقد تلقى هرقل هذه الرسالة قبولا حسنا، وكان وقتها بالشام عائدا إلى القسطنطينية. وتروي مصادر عديدة كالطبري وصحيح البخاري عن أبي سفيان قوله «خرجنا في نفر من قريش تجارا إلى الشام ... فهجم علينا صاحب شرطة فقال: أيكم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلت: نعم ... فانطلقنا معه فلما انتهينا إليه قال: أيكم أمس به رحما ... فأقعدني بين يديه وقعد أصحابي خلفي، قال إني سائله فإن كذب فردوه ... والله لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت ... ذلك على ثم يحدثوا به عني، فلم أكذبه ... عن النبي ﷺ ... أبو سفيان أن يصغر له شأنه (وكان ما زال كافرا) ويهون عليه أمره فلم يستطع



... كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب ... قال: فهل
كان من قبله من يقول مثل قوله؟ قلت: لا. قال: فهل له حكم
... قلت: لا. قال: فمن أتبعه منكم؟ قلت: الضعفاء
والمساكين. قال: فهل يخرج من يدخل ... يحبه ويفارقه؟ قلت
... قال: هل يغدر؟ قال: أبو سفيان: فلم أجد شيئا
... لا ... في هدنة لا ندري ... قال: ...
...

ويقول أبو سفيان: فقال لي هرقل: سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسط نسبكم وكذلك
الأنبياء. وسألتك هل قال أحد من بيته مثل قوله فهو يتشبه به فزعمت أن لا. وسألتك هل ...
منكم ... بهذا الأمر ليردوا عليه ملكه فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم من
الضعفاء والمساكين وكذلك أتباع الرسل. وسألتك عمن يتبعه أيحبه ثم يفارقه فزعمت أنهم يحبونه
ولا يفارقونه وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه. وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا.
ولئن صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ... وشأنك

ثم جمع هرقل بطارقة دولته وأشرف عليهم من مكان عال خوفا على نفسه وأغلق الأبواب
حولهم ثم ... قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله النبي الذي نجده في
كتبنا فهلم فلنتبعه ولنصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. ... ثم ابتدروا الأبواب يخرجون ...
... على نفسه، وقال: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم وقد
رأيت منكم ما سرني فسجدوا له

وتجمع الروايات العربية على أن هرقل كان يميل للاستجابة للإسلام، وكان من أهم أسباب
رفضه هو ... الذين هم أنهم استكثروا على العرب أن يخرج من بينهم نبي، حيث كانوا
ينظرون إليهم على أنهم ... في الصحراء، وأن هذا ... هو ... فكيف
يخضعون ... من حضارة ... وجبروت ... الذي خرج من الصحراء يدعوهم
... عالم ... وللدخول في
الإسلام ... هرقل ... علم أن المقوقس ... مع المسلمين في صلح ... مصر
... Babylon واستدعاه إلى القسطنطينية ثم ... وأرسل قواده لمحاربة ... في مصر
... الروايات العربية التي أجمعت على أن هرقل كان ... في دخول
الإسلام ... كانوا قد ... في ذلك في الشام في ... مرة ...
... هرقل أراد أن يتجنب الصدام مع القوة العربية ...
... حدود دولته مع الفرس





سرية مؤتة:

لما اشتد ساعد الرسول ﷺ وأعوانه وانتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بدرجة أهلته كي يقوم بحملات خارجية في سبيل نشر الدين الجديد، كانت أولى حملاته على بلاد الروم سنة ٨هـ / ٦٢٩م وخاصة بعد أن رفض هرقل دعوته الإسلامية للدخول في الإسلام، فوجه الرسول ﷺ قوة إسلامية تتألف من ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين إلى مؤتة على رأس هذه الحملة زيد بن حارثة، وكان بهذه الحملة خالد بن الوليد متطوعا وجعفر بن أبي طالب. ولما علمت قوات الروم بمسيرة هذا الجيش الإسلامي نحو أراضيهم خرجت له عند مؤتة، وهي قرية صغيرة من قرى البلقاء على حدود الشام، واستشهد في هذه الغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وكاد المسلمون أن يهزموا لولا أن خالد بن الوليد تولى القيادة من بعدهما واستطاع أن ينجو بقوات المسلمين ويعود بهم إلى المدينة بعد أن أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا، وبعد هذه موقعة أطلق على خالد بن الوليد لقب سيف الله المسلول.

وقد يتساءل البعض عن الدافع الذي أدى إلى هذه الغزوة؟ كان السبب الرئيسي وراء هذه الغزوة أن الرسول ﷺ أرسل رسولا من قبله إلى العرب النصارى على حدود الشام يدعوهم للإسلام فقتلوه، لذلك خرج إليهم الرسول بهذه الحملة.

وثمة هدف آخر هو نشر الإسلام في هذه المناطق. ومن الجدير بالذكر أن الروم حين [illegible] نظروا إلى هذه الحملة على أنها مجرد غارة عربية كالتي اعتادوا عليها من قبل حيث [illegible] يغيرون عليها ثم يعودون بعدها إلى بلادهم ثانية [illegible] ومن ناحية أخرى اعتقدوا أنهم جاءوا ليأخذوا بالثأر لرسولهم الذي قتل على أيدي العرب [illegible] حتى حدود الشام.

غزوة تبوك :



كانت هذه الغزوة في عام ٩هـ / ٦٣٠م وكان من أسبابها أن علم الرسول ﷺ أن قوات الروم قد تجمعت على حدود فلسطين ومعهم بعض القبائل العربية لقتال المسلمين. ولما علم الرسول ﷺ بصحة هذا دعا المسلمين إلى الجهاد وخرج بالجيش إلى الشام فلما وصل إلى تبوك أقام فيها ليالي فصالحه أهلها، وجاءت الوفود من أيلة وغيرها وصالحوه على دفع الجزية له، كما بعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ومعه مجموعة من الجند فأسر صاحبها واستولى عليها ثم عاد الرسول إلى المدينة، وكانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ حيث وافته المنية بعد ذلك ومات في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة هـ، يونية سنة ٦٣٢م، بعد أن نشر الدعوة الإسلامية وبلغ رسالته في الجزيرة العربية كلها، وبعد أن ألف بين قلوب العرب وجمعهم على كتاب واحد ولغة واحدة وقبلة واحدة



الفصل الرابع
المسلمون ودولة الروم حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين



بعد عهد الرسول ﷺ بانتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ/٦٣٢م وقبيل وفاته كان قد أعد حملة عسكرية بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة، الذي استشهد أبوه في موقعة مؤتة. وكان أسامة هذا شابا في مقتبل العمر ومع هذا ولاه الرسول ﷺ إمرة هذا الجيش الذي كان يحوي العديد من قادة المسلمين، وكانت هذه الحملة موجهة إلى أراضي الروم. وقد توفي الرسول ﷺ قبل أن يشهد خروج هذه الحملة وعلم خليفته أبو بكر الصديق أن يشهد ذلك بل ويسيرها كما كان يريد لها الرسول ﷺ. وقد أبى أبو بكر إلا أن ينفذ رغبة رسول الله ﷺ ويبعث بهذه الحملة كما أصدرها الرسول ﷺ إلى مشارف الشام، وذلك لأنه رأى فيها مناورة حربية وسياسية تشعر الروم بقوة المسلمين وثبات مركزهم.

ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ قد أسند قيادة هذا الجيش إلى أسامة بن زيد وكان في مقتبل العمر، مما جعل بعض الصحابة يتساءلون عن قيادته. ولكن نقض حزم أبي بكر الصديق استطاع أن يقنعهم ويثنيهم عن هواجس تساورهم تجاه أكفاء هذا الجيش. ولما تحرك الجيش، خرج أبو بكر ماشيا لتوديعه بينما كان أسامة راكبا وتحدث إليه أبو بكر الصديق خليفة المسلمين حديثا ...أسامة بن زيد بن حارثة.

وهكذا، قدر لأبي بكر أن يشغل العرب في الفتوح الخارجية، ليحمد الفتن الداخلية، وكتبت قدر للإمبراطور هرقل أن يشهد انتصاراته التي أحرزها على الدولة الفارسية وسرد بعضها أملاكه ثانية وهي تتحول إلى هزائم على أيدي المسلمين.

وقد نزل أسامة بجيشه في منطقة البلقاء بعد مسيرة عشرين يوما حيث نفذ مهمته، فقضى على كل من وقف في وجهه من أعداء الإسلام، وأحرق بلاد بني قضاعة. ...سمع هرقل بهذه الأنباء أرسل جيشا قويا عسكر في البلقاء ولكن المسلمين وعلى رأسهم أبي بكر الصديق ...تكونوا قد فكروا في فتح بلاد الشام بعد.

وهكذا وضعت حملة أسامة بن زيد وثأر لأبيه الذي قتله الروم في موقعة مؤتة عام ٨هـ ٦٢٩م. وقد استمرت حركة الفتوحات الإسلامية بعد ذلك حيث ولي المثنى بن حارثة ...وخرج معه أيضا خالد بن الوليد ليتوجها لفتح بلاد فارس والعراق.

ومن هنا يتبين لنا أن أبا بكر الصديق وجه الجيوش الإسلامية في ... ... وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسم ... أبي بكر الصديق وقوة عزيمته، وعلى القوة الحربية ... عليها ... بعد انتشار الإسلام ... ومن ... في هذه ... ربما يرجع إلى أن أبا بكر الصديق أراد من ... لا تستعين بإحدى الدولتين ... ثم ... ... مستعين

... أسامة بن زيد على النحو الذي عرضناه وكان هرقل قد حشد جيوشه في منطقة ... على حدود بين العرب والبيزنطيين، ولما عزم أبو بكر ... جيش ... جميع ... في الجزيرة العربية، وولى إمرة هذا الجيش إلى أربعة من قادته وهم أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة. وكان لكل قائد منهم منطقة معينة يتجه إليها، وأمرهم أبو بكر الصديق بأن يتجهوا سوريا. وأن يكونوا جميعا تحت إمرة أبي عبيدة ابن الجراح، وأن يستقل عمرو بفتح فلسطين، وأن يدعم الجيوش الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك

وقد رسم أبو بكر الصديق الخطة لعمرو بن العاص، الذي سار ... إلى فلسطين عن طريق إيلياء ونزل بغمر العربات، ولما علم هرقل بوصول كتائب المسلمين أراد أن يتبع ... ... معروف ... مع الجيش الإسلامي، وقد وصلت الأنباء إلى المسلمين بأن الجيوش البيزنطية تربو على مائة ألف، فأرسل عمرو عبد الله بن عمر في ألف فارس ... بهم حشد كبير من الروم يقول بعض المؤرخين أنه يبلغ عشرة آلاف مقاتل، وحمل ... على كبيرهم فقتله، فانتشر ... والرعب بين صفوف الروم، وانتهى الأمر بهزيمة الروم، وقد قتل من المسلمين سبعة ... أسر من الروم ٦٠ غير القتلى وفي الصباح أقبل على المسلمين ... من ... الروم ... عمرو على المسلمين وأخذ يحمسهم ويقوي عزيمتهم بالإيمان ويأمرهم بعزمة ... ... محاولة يائسة منهم لتحصين ... مكاسب عسكرية. إلا أنهم لقوا هزيمة فادحة في هذه المعركة وفقدوا ١٥ ألفا من رجالهم، بينما كانت خسائر المسلمين ١٣ مقاتلا فقط

وفي الوقت الذي كان عمرو بن العاص يفتتح فلسطين كان أبو عبيدة بن الجراح يحمد ... جيوشه في بلاد الشام ... لا فتح مدنها، ولكن بالرغم من ... الفتوحات الإسلامية إلا ... ... من ... قوات الروم وخاصة الحملة التي أرسلها أبو عبيدة إلى مدينة ... وهي مدينة ... كانت حاميتها على درجة كبيرة من الشجاعة والمقاومة وأمام هذا كله اضطر أبو عبيدة

[illegible] والمناوشات العسكرية [illegible]
الخليفة إلى خالد بن الوليد يأمره بالتوجه إلى بلاد الشام [illegible]
الجيوش ثم بعد ذلك [illegible] أبي عبيدة بن الجراح [illegible]
الوليد المثنى بن حارثة في العراق، وأخذ شطرا من جيشه وتوجه إلى
بلاد الشام، وقد استطاع أن يستولي على مدينة بصرى [illegible] عصر
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] للدخول منه إلى المدينة وقد شجع هذا النصر المسلمين على
محاصرة دمشق [illegible] عمرو بن العاص [illegible] في فلسطين
ومع هذا [illegible] هرقل أربعة جيوش بيزنطية لمحاربة جيوش المسلمين هناك [illegible] قادة المسلمين
بهذا [illegible] فتجمعوا في اليرموك بجيوشهم ضد الجيوش البيزنطية وقد وجه [illegible]
الإمبراطور هرقل جيوشه التي بلغت [illegible] آلاف من الجنود البيزنطيين ومن والاهم من عرب [illegible]
كانوا تحت إمرة [illegible]

وقد أوصى هرقل ماهان قائد جيوشه بالاتصال بالمسلمين لطلب الصلح، فأرسل لهم جبلة بن الأيهم يستوضحهم، وكان المسلمون مرابطون تحت قيادة أبي عبيدة الجراح [illegible]

ضريح أبي عبيدة بن الجراح





[illegible] خالد بن الوليد [illegible] من العراق [illegible] الجيوش الإسلامية على النحو [illegible]

[illegible]

[illegible]



ذلك توضح [illegible] عند توجيه الهجمة [illegible] لعسكر [illegible]
وجب عظمتها في حملة حقق من توليه للمعركة [illegible]
[illegible] الشعور [illegible] للحصون [illegible]
الولاة [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] في الشمال على شكل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] جيش الروم، وأحكم حوله الحصار، ثم شن هجوما شديدا على جيش [illegible] في هزيمة فادحة، كما سبق القول. وقد عاد أبو عبيدة فخرج لتولي قيادة جيش الإسلامي [illegible] بعد أن تنحى خالد بن الوليد عن القيادة بأمر من عمر بن الخطاب.

وفي مرحلة [illegible] من الفتح أمر عمر بن الخطاب بأن تتوجه الجيوش الإسلامية [illegible] دمشق ولم [illegible] صغيرة [illegible] أهل [illegible]. وقد استطاع المسلمون أن يستولوا على دمشق عام ١٣هـ، ٦٣٤م بعد حصار دام سبعين يوما.

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور هرقل توجه إلى مدينة حمص بعد أن وصلته أنباء الهزيمة في اليرموك [illegible] بيت المقدس. [illegible] بعض الآراء أن هرقل لما علم بهزيمة جيوشه في اليرموك فر إلى عاصمته القسطنطينية مودعا بلاد الشام قائلا "عليك يا سورية سلام [illegible]".

ومن [illegible] هرقل انسحب إلى أنطاكية ليدير دفة الحرب من هناك [illegible] لأنها كانت أقرب مدن إلى القسطنطينية وإلى أرض [illegible] الحربية بالشام، على أية حال، بعد أن استولى المسلمون على دمشق توجهوا إلى منطقة [illegible] في الأردن، [illegible] حتى انتهت بنصر المسلمين [illegible] على تلك المناطق وبعدها استولى المسلمون على حمص، واللاذقية [illegible]. وكانت [illegible] من المواقع الهامة التي [illegible] المسلمون [illegible] أن يتغلبوا على الآلاف من البيزنطيين [illegible] قلوبهم وأخذوا [illegible] حتى [illegible].

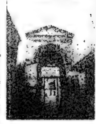
وتجهت [illegible] من [illegible] الإسلامي إلى فلسطين [illegible] بعد أن [illegible]
المسلمون [illegible] أيام، ولما علم
[illegible] ضربة [illegible] بأهل [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلامي
[illegible]



صورة [illegible] القديمة



السمس وتحتها تلوح البيرقة من تلا



مدخل مسجد عمر بن الخطاب المجاور للكنيسة القيامة
[حيث صلى عُمر الفاروق]

كان على المسلمين بعد ذلك أن يوسعوا فتوحاتهم ويؤكدوها فتوغلوا في فلسطين، وكان عليها حاكما يدعى أرطبون، الذي حشد قوات هائلة في بيت المقدس وفي غزة والرملة وفي أجنادين أيضا. وقد راسل عمرو بن العاص عمر بن الخطاب يستشيره في الأمر فقال عمر: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج. وكتب



كنيسة القيامة التي تقصدها المسيحيون

بعد أن يسيرو [illegible]



اليرموك، وهرب البيزنطيون وعلى رأسهم أرطبون في تماني ألف من جنوده حسب تقديرات بعض المؤرخين العرب. لم يبق أمام المسلمين في فلسطين إلا مدينة القدس، التي في أطرافها تجمعت معظم قوات ... المسلمون إلى حصار هذه المدينة، ... المسيحيون على ثباتهم، وأنه لا مفر من الهزيمة لو استطاعوا ... المدينة وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس السلام مع المسلمين، وبالفعل تم الاتفاق بين الجانبين على هذا بشرط أن يحضر عمر بن الخطاب بنفسه في بيت المقدس ليتسلم مفاتيحها شخصياً. ولبى عمر بن الخطاب طلب البطريرك صفرونيوس وذهب إلى فلسطين وتسلم مفاتيح بيت المقدس بعد أن وعد المسيحيين هناك بالأمان.

وهكذا، تم فتح إيلياء في عام ١٦هـ/ ٦٣٧م، وبعد ذلك بقي هناك دور من ... المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين عند مدينة قيصرية، حيث أرسل هرقل ابنه قسطنطين بجيش كبير، وكان معسكر بأنطاكية آنذاك، غير أن الخوف والرهبة من المسلمين كانا عاملين أساسيين من عوامل انتصار المسلمين على الروم، علاوة على هروب قسطنطين من قيصرية بعد أن ... إليه من أنطاكية وسلم جند المسلمين بعد أن علموا بهرب أميرهم إلى القسطنطينية.

لقد كتب على الإمبراطور هرقل أن يشهد ضياع أملاك إمبراطوريته واحدة تلو الأخرى علاوة على الأخرى الاقتصادية المتردية داخل دولته وهجمات القبائل الإسلامية على حدوده العربية من حين لآخر مشكلة عدواً جديداً لبيزنطة. وهكذا قضى المسلمون على النفوذ البيزنطي في بلاد الشام مقابل انحسار النفوذ البيزنطي فيها بسرعة غير متوقعة؛ الأمر الذي مهد إلى انتشار الإسلام بين مسيحيي بلاد الشام وفلسطين الذين كانوا يخالفون كنيسة القسطنطينية في مذهبها الديني.



لم يكن على المسلمين أن يأمنوا فتوحاتهم في بلاد الشام وفلسطين وفارس، ودخلت ... على مصر، ... من الوجود البيزنطي، الذي كان يمقته المصريون. ... معروف ... الانطلاق التالية في الفتوحات الإسلامية، لا سيما ... عهد الإمبراطور هرقل. كما أنها القلب الاقتصادي الذي كان ... من ... القمح ... وصوامع العاصمة البيزنطية ... بالإضافة إلى الخدمات ... في عهد ... عشرين مليوناً من الدينارات سنوياً على حد ذكر ابن عبد الحكم ... ...



دير سانت كاترين- الذي أمر ببنائه (جستنيان الأول)

... مصر ... شديدة أنه لا ... من ... في ... عمرو ... عمرو بن ... فتح مصر ... وهو يحث إليه فتح مصر ويهونه أمامه كي يأذن له بالخروج ... في الإذن له بذلك لعدة أسباب. منها أن عمر بن الخطاب يرد في موافقته على هذا الأمر واشفق على المسلمين من ان يصيبهم الإخفاق. بالاضافة إلى أنه لن يستطيع أن يجمع لفتح هذه البلاد جيش كبير تتفرق جند المسلمين في بلاد الشام والجزيرة وفارس؛ اضف إلى ذلك ما كان يخشاه عمر من التوسع في الفتح وخاصة أن أقدام المسلمين لم تثبت بعد في البلاد التي فتحوها ولم يزل عمرو يهون عليه فتحها ويعظم أمرها طمعا فيها ورغبة في خيراتها، لأنه وقف بنفسه على ثروتها في الجاهلية عند قدومه إليها للتجارة عدة مرات، وعرف خصب أرضها ووفرة خيراتها؛ كما بين لعمر أن استيلاء المسلمين عليها معناه تثبيت مركزهم في بلاد الشام وفلسطين وتأمينهم من ناحية الجنوب. ويذكر أحد المؤرخين أن تردد عمر ابن الخطاب في الإذن لعمرو بالسير إلى مصر لم يكن في فتح مصر نفسه بقدر ما كان في شخص قائد.

رسم يمثل حصن بابليون زمن الفتح العربي

ويقول مؤرخ ... موس أن عمر ... خشية ... جيوشهم مجتمعة في مصر ... أن هذا ... عن خصمه لافتقاره إلى ... وقاومه. ولم يزل عمرو بعمر حتى اذن له بأربعة آلاف مقاتل. ... أخرى خمسة آلاف مقاتل.



وقال لعمرو: إني مرسل إليك كتابي فإن أدركك وأنت ... [illegible]
في مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ... حسبك في
أن يأتيك كتابي فامض واستعن بالله واستنصره ... على عمرو
وصل كتاب عمر إلى عمرو وهو في طريقه إلى مصر ... فصحه
لكنه لم يفتحه إلا بعد أن دخل حدود مصر عند العريش.

لقد اجتاز جيش المسلمين حدود مصر عام ١٨ هـ/ ٦٣٩م
واستولى على مدينة (بلوزيوم) بعد أن فتحت الحامية البيزنطية فيها ثم اتجه إلى بلبيس وهزم
حامية بيزنطية هناك والتي كانت تحت قيادة أرطبون السالف ذكره. ثم تقدم واستولى على قرية
أم دنين، ومكانها الآن الأزبكية بالقاهرة. ودارت المعارك هناك بين الجانبين وقد أيضاً فتح. أرسل
عمرو بن العاص طالباً المدد العسكري من الخليفة فأمده بأربعة آلاف مقاتل يرأسهم مجموعة
عظيمة من قادة المسلمين والصحابة. واستطاع المسلمون أن يوقعوا الهزيمة بقوات البيزنطية في
عين شمس، حيث فروا إلى حصن بابليون، أو قصر الشمع، كما يسميه البعض، فحاصر
المسلمون بدورهم هذا الحصن. وكان المسلمون آنذاك يفتقرون إلى أدوات الحصار، لذا كان
حصارهم له حصاراً بدائياً، أي أنهم ترابطوا حول الحصن في محاولة لمنع خروج أي أحد منه،
ولم يستمر الأمر طويلاً فقد دارت معارك عديدة بين الطرفين كاد يجود بعدها البيزنطيون لأنهم
داخل الحصن. وسرعان ما دارت المفاوضات بين الجانبين وخاصة بعد أن رأى المقوقس أو قيرس
ضرورة ذلك، وكان رد المسلمين على هذه المفاوضات يتلخص في ثلاثة أمور: الدخول في
الإسلام أو الجزية أو السيف فاختار البيزنطيون الجزية، وعقد الحرب بينهم ثلاثة. وفي النهاية
عقد قيرس أو المقوقس إلى عقد معاهدة سميت باسم معاهدة بابليون الأولى. وبعدها موافقة
هرقل عليها، وكانت خاصة بقبط مصر، ولكن هرقل رفضها واستدعى قيرس إلى القسطنطينية
يحقق معه في ذلك، وأمر قواده باستكمال القتال، ولكن كان المسلمون قد سيطروا على حصن
بابليون بعد هذه ... من المسلمين، وتوجهوا إلى الإسكندرية خلال ثلاثة أيام، وبهذا سقط ...
عودتهم على مصر السفلى ومصر الوسطى كمرحلة أولى. وعاود البيزنطيون ... إلى
الإسكندرية بعد أن ... هرقل بإرسال جيش ومدد ... دون وقوعها في أيدي المسلمين، ...
عودة ... فتلا ... على مدى أربعة أشهر حاصر فيها المسلمون الإسكندرية، وتم فتح الإسكندرية
عنوة وتصالح المسلمون مع أهلها، وعقد قيرس أو المقوقس صلحاً سمي باسم صلح الإسكندرية
أو معاهدة بابليون الثانية.



بعد أن نشب الصراع المذهبي الكنسي بين كنيستي القسطنطينية والإسكندرية ... في ترحيب المصريين بدخول المسلمين بما عرف عنهم من التسامح الديني والعدل والخلق الكريم وكل ما يقتضي به الإسلام ... فعندما أراد هرقل أن يفرض مذهب الاتحاد عنوة على شعوب مصر والشام وفلسطين، لكنه فشل في هذا، مما جر عليه سخط هذه البلاد عليه. ومن الجدير بالذكر أن الأقباط سهلوا للعرب فتح مصر وهو ما أدخل بارقة أمل في نفوس المصريين للتخلص من الصراع المذهبي ومن ربقة الكنيسة الشرقية الكائنة بالقسطنطينية. علاوة على أن بيزنطة كان شغلها الشاغل هو تحصيل أكبر قدر ممكن من ثروات مصر وإيداعها الخزانة البيزنطية.

وبضياع مصر من أيدي البيزنطيين كتب عليهم أن يدخلوا مع المسلمين في دور من أدوار المواجهة الصعبة المضنية، التي كانت قوتها تتوقف على قوة الأباطرة والخلفاء وسياستهم ...

وبعد هذه المرحلة من الفتوحات، قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عام ٢٣هـ ٦٤٣م، ليتولى حكم الدولة الإسلامية بعده عثمان بن عفان، الذي لعب في عهده والي الشام معاوية بن أبي سفيان دوراً مهماً في الفتوحات الإسلامية لبلاد الروم، وفي توطيد وتوسيع دائرة الدولة الإسلامية. كان معاوية بن أبي سفيان قد تولى ولاية الشام منذ عهد عمر بن الخطاب، وأخذ يوطد نفوذه هناك خاصة بعد أن تولى الخلافة أحد أقربائه وهو عثمان بن عفان، الذي اتبع سياسة تقريب الأقرباء والتي أودت بحياته في نهاية المطاف.

وقبل أن نتحدث عن الفتوحات الإسلامية أو دور المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين في عهد معاوية ... من الضروري أن نشير إلى اللبس الذي أثير حول شخصية قيرس أو المقوقس عظيم القبط في مصر، فالبعض يرى أن الاسمين لشخص واحد كان يحكم مصر من قبل الإمبراطور هرقل، والبعض الآخر يرى أن الاسمين لشخصين مختلفين. ومن المحتمل أن يكون الرأي الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة لعدة أسباب. فمن المعروف أن هرقل قد أرسل قيرس إلى مصر بعد رغبة الإمبراطور في كف الجدل عن طبيعة السيد المسيح، ونشر مذهب الاتحاد الهرقلي. ويذكر مصدر العرب أن المصريين عرفوا قيرس باسم المقوقس.



أولاً: كان كتاب الرسول ﷺ إليه يبدأ بـ "من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط في مصر ... إلخ" كما ورد من المؤرخين. كذلك أورد أن المقوقس أكرم مبعوث ... معزة. ثم قيرس جاء لمصر لينشر المذهب الهرقلي، ومسيحي طبيعة المسيح عليه السلام. ولو كان قيرس هو المقوقس لامتنع ... تعله هرقل من ... لدعوة الرسول ﷺ و... ...

ثانياً: أن المقوقس حينما ... مع المسلمين عن مصر في معاهدة الصلح على أن ... خاصة بأهل مصر، أي الأقباط وليست ... ولعل مصر معا

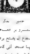


ثالثاً: أن محمداً ﷺ أرسل كتابه إلى المقوقس، ... في عام ٧هـ/ ٦٢٨م، بينما تولى قيرس ... الإسكندرية عام سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م أي بعد ... الرسول ﷺ بأربع سنوات. وربما كان المقوقس ... لغزو الفارسي لمصر وحتى عام ١١هـ/ ٦٣٢م

رابعاً: أن المصريين يكرهون البيزنطيين أشد الكره ... بهم وسوء أحوالهم الاقتصادية، الأمر ... يرحبون بقدوم العرب إلى مصر

خامساً: كان ما يهم هرقل هو مصر وقواته من الروم ... لذا بعث إلى قيرس وعنفه على قبول ... مع العرب صلح مع المسلمين، واستدعاد ... وأمر قواده بمعاودة القتال؛ لكي كان ... على حصن بابليون Babylion ... بالإسكندرية، أورد شروطها يوحنا Jean et Nikiou


برجي الكنيسة المعلقة مبنية على أحد أبراج حصن بابليون





قلعة جعبر التي بناها المسلمون لمقاومة الروم في بلاد الشام

جيش ... ذكر أن عمرو بن العاص استطاع أن يفتتح برقة بليبيا صلحاً التي كانت تابعة للبوابة الغربية مصر وفتح طرابلس عنوة عام ٢٢هـ/٦٤٢م، ثم بعث نافع بن عبد القيس الفهري الى بلاد النوبة، ولما ولي أمر مصر عبد الله بن أبي السرح فكر في غزو أفريقية، وكانت خاضعة للنفوذ البيزنطي، فاستأذن عثمان بن عفان، وأرسل إليه الخليفة جيشاً ضخماً يضم كثيراً من الصحابة، وسار هذا الجيش الى افريقية وسرعان ما انقطعت أخباره عن مركز الخلافة فأرسل عثمان بن عفان جماعة على رأسهم عبد الله بن الزبير ليوافوه بالأخبار، واستطاع بن الزبير أن يغير ويجدد من خطة عبد الله بن أبي السرح في القتال، واستطاع المسلمون أن ينتصروا على العدو ويغنموا غنائم لا حد لها

وتجدر الإشارة الى أن البيزنطيين حاولوا استرداد مصر من أيدي العرب في عام ٢٥هـ/٦٤٥م، ففي ولاية عبد الله بن أبي السرح كتب أهل الإسكندرية الى الإمبراطور قنسطانز يهونون عليه فتح الإسكندرية لقلة عدد الحاميات الإسلامية بها، فأرسل حملة بحرية قوامها ثلاثمائة سفينة ... منويل الى الإسكندرية وبالفعل استطاع هذا الجيش أن يستولي على الإسكندرية حتى بلغ نقيوس وعاث في الأرض فساداً، ودار القتال بين المسلمين والبيزنطيين بر وبحر ... انتصر المسلمون في النهاية، وخاب أمل الإمبراطور في استرداد مصر ثانية، وهكذا ... الى الأبد ودخلت دار الإسلام

... في بلاد الشام فقد استطاع واليها معاوية بن أبي سفيان أن ينشئ أول أسطول إسلامي ... عنصر ... ويعمل إصلاح المدن الساحلية للمسلمين، التي كانت ...



البيزنطي عبر البحر المتوسط، فكان عليه أن يسد هذه الثغرة. وقد ظهر أظهر معاوية ضروبًا عظيمة من ضروب الشجاعة والدهاء في فتح هذه المدن مثل قيسارية، وطرابلس. وكان في كل ذلك يستمد العون من فتح بقية المدن الأخرى، وقد استطاع أن يفتح قيسارية سنة ٦٤١م، ثم اتجه إلى حصار مدينة عسقلان وكان هذه المدينة ذات حصانة شديدة واستولى عليها معاوية بعد عقد صلح مع أهلها. وفي أواخر عهد خليفة عمر بن الخطاب بدأ البيزنطيون في شن هجمات عسكرية لاستعادة ما فقدوه من أملاك الإمبراطورية. إلا أن المدن الإسلامية تمكنت من صد هذه الهجمات بفضل التحصينات التي أقامها معاوية بها وبفضل شجاعة الحاميات الإسلامية.

وقد أطلق خليفة عثمان بن عفان العنان لمعاوية بن أبي سفيان في فتح بقية مدن الشام فاتجه معاوية إلى طرابلس، وهي مدينة تمتاز بحصانة طبيعية عظيمة علاوة على الإمدادات البيزنطية لها بحرًا. ثم قوي حصارها لإقامة حولها، واستطاع المسلمون أن يستولوا على هذه المدينة بعد أن خرجت منها من شدة الحصار الإسلامي وقسوته وكان هذا نصرًا عظيمًا للمسلمين. وبعد استيلاء معاوية على هذه المدن أمن الجنود المسلمون على أنفسهم ورتبوا جيوشهم. واستطاع معاوية أن يتخلص من العصبية القبلية بين المسلمين بالشام والتي كادت أن تفت في عضد الإسلام والمسلمين وبفضل دهاء معاوية وحسن تصريفه للأمور استطاع أن يوحد العرب ثانية هناك. ثم انتقل معاوية من تنظيم أهله وجيشه إلى إعداد هيئة استشارية خاصة به تقوم بتنفيذ خططه الحربية ضد بيزنطة، وكان اختيار معاوية لهذه الشخصيات اختيارًا دقيقًا وصائبًا، إذ جعلهم شيعة وجعلهم مخلصين له. ورجالًا صناديد لا يعرفون غير الشام وطنًا لهم.

وفي تلك الأثناء مات الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثالث Constantine III بعد ثلاثة أشهر من حكمه للإمبراطورية وظن الناس أن مارتينا زوجة أبيه هي التي دست له السم من أجل السلطة، بعد ذلك حكم ابنه طفلًا صغيرًا ولقب بقسطانز الثاني Constans II على عرش الإمبراطورية، وكان عمره آنذاك أحد عشر عامًا، وبالرغم من حداثة سنه إلا أنه كان نشطًا.

وقد وضع قسطانز الخطر الإسلامي نصب عينيه منذ تولى الحكم ولكنه واجه مجموعة من المشاكل الداخلية والخارجية أيضًا، فاستطاع أن يخضع قبائل السلاف مرة أخرى لحكمه من الإمبراطورية بعد أن كانوا قد بدأوا يتمردون عليها، ثم هداه عقله إلى أن يسعى لحل مشكلة المذهبية التي أثيرت حول طبيعة السيد المسيح.



... من معه به ... سعيد ... وعبد حجر الأساس ... لا ... الأساطيل الإسلامية البحرية، فقد ... أولاً أهمية ... الشديدة ... كان ... بحرية ... معاوية ... ... من ... الموجوده به ... التي ... من ... للمسلمين ... في ... وربما ... على فتح الإسلامي ... نتيجة إمتدادات الأسطول ... من البحر. لهذا ألح معاوية على الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان في فتح جزيرة قبرص وضمها إلى دار الإسلام إلى أن أذن له عثمان بن عفان بعد ذلك، بعد أن استطاع أن يبني أسطولاً إسلامياً قوياً ... عباب البحر المتوسط مطاردا ... وتجدر الإشارة إلى أن العرب لم يكن لهم أية دراية سابقة بشئون الأسطول ولا كيفية إدارته كنتيجة حتمية ... الصحراوية التي كانوا يحيون فيها ولكن الظروف التي ... فيها جعلتهم يهتمون بمثل هذا النوع من الأسلحة وهو ما يسمى اليوم "بسلاح البحرية"، على الرغم من أن العرب كانوا يركبون البحر من قبل الإسلام كتجار إلى بلاد الهند وفارس في بعض تجارتهم.

... معاوية منذ ولايته على الشام الاهتمام بالمدن الساحلية خاصة وتقوية حصونها وتزويد هذه المدن بالقوات المحاربة وأنشأ نظاما عرف باسم "الرباطة" وهو مكان يتجمع فيه الجند ... للهجوم على أرض العدو أو صد هجوم عليهم، وقد استطاع معاوية أن ... في هذا ... بعد ذلك، لذلك شجع الناس على الهبوط إلى المدن الساحلية ومنح كل من يرغب في الهجرة إليها إقطاعات من الأرض يثيرها لحسابه، مع كل هذه الخصوبات التي ... معاوية منذ أن كان واليا على الشام إلى أن أصبح مؤسس أسرة حاكمة ... ، ... بعض ... ... عهدها أنهم الذين ... أعلى وأعظم ... في تاريخ الإسلام.



فتح قبرص

بعد أن تأكد معاوية بن أبي سفيان من استعداد قواته البحرية وقوة الأسطول الإسلامي أخذ يلح على الخليفة عثمان بن عفان في فتح هذه الجزيرة الكائنة شمال البحر المتوسط بالقرب من سواحل الشام. ولكن لماذا هذه الجزيرة بالذات من أراد معاوية فتحها؟ يبدو أن هذه الجزيرة كانت ذات مركز إستراتيجي على درجة كبيرة من الأهمية، وكانت تحت سيادة بيزنطية ومثلت معقل من معاقل الهجوم على المسلمين في الشام ومصر. وترجع أهمية الجزيرة أيضا إلى أن موقعها أتاح لها فرصة التحكم في مياه الحوض الشمالي الشرقي من البحر المتوسط وقد جعل هذا الموقع موضع صراع بين القوى العظمى فقد جعلها البيزنطيون قاعدة عسكرية هامة لشن هجماتهم على المسلمين، وتطلع المسلمون إليها ليستفيدوا أيضا من هذا مصدرا علاوة على أنها كانت ذات أهمية تجارية كبيرة وأثرت كثيرا من التجارة عبر أراضيها. وأعد معاوية بن أبي سفيان والي الشام حملة بحرية سنة ٢٩هـ/٦٤٩م لفتح الجزيرة حيث حشد معاوية قواته في ميناء عكا، وكانت السفن كلها من مصر. على حين اشترك من الجند العربي كبار رجال الشام وغيرهم من مشاهير قادة العرب وقد اصطحب معاوية معه زوجته [illegible] بأمر الخليفة، و[illegible] الحملة على العنصر النسائي بذلك، وتحركت الحملة البحرية وكلها أمل في تحقيق النصر ووصلت الحملة إلى أراضي قبرص [illegible]. وعرض المسلمون الأمان على أهالي قبرص ولم يدخل أهالي قبرص في أية مفاوضات معهم تحت ضغط من البيزنطيين فتقدمت القوات العربية نحو عاصمة الجزيرة التي تجمع بها معظم سكانها وحصنوا بها معظم ثرواتهم، وبعد مدة قصيرة من الحصار اقتحم المسلمون المدينة وسيطروا على كثير [illegible] وعدد من الأسرى، واضطر الأهالي إلى أن يدخلوا في المفاوضات مع المسلمين وعقد حاكم الجزيرة صلحا مع المسلمين على أن يدفع لهم ٧٢٠٠ دينار كجزية سنوية مثلما كانوا يدفعون للبيزنطيين، وتعهدوا أيضا ألا يمدوا البيزنطيين بأية معونات حربية، وألا [illegible] المسلمين وأن يخبروا البيزنطيين [illegible] وتحركات الأسطول الإسلامي، كذلك تعهد [illegible] المسلمين بأنه [illegible] من حملات الروم عليهم [illegible] أهالي قبرص بالمعاهدة [illegible]



... بين المسلمين والروم، وعاد الأسطول الإسلامي إلى سواحل الشام بعد أن نجح في تحقيق أهدافه التوسعية. وظل معاوية ... في قبرص ومدى التزامهم بتنفيذ بنود المعاهدة. ولكن في سنة ٣٢هـ/٦٥٢م أخل أهل قبرص ببنود المعاهدة وأمدوا البيزنطيين ببعض السفن البحرية التي ساعدتهم على تجديد هجومهم على الأراضي العربية الإسلامية، فما كان من معاوية إلا أن جهز أسطولا ... ست مئة سفينة واتجه الأسطول نحو الجزيرة ثانية في عام ٣٣هـ/ ٦٥٣م واستطاع أن يستولي عليها عنوة رغم أنوف أهلها، وعاد إلى سواحل الشام ثانية بعد أن ترك جيشا ... إسلاميا في قبرص وأجرى لجنوده الرواتب، وشجع أهالي المدن الساحلية بالشام على الهجرة إلى قبرص لتقوية الوجود الإسلامي بها. وأصبحت قبرص بمثابة قاعدة بحرية إسلامية لها وزنها العسكري في شرق البحر المتوسط بحيث استطاع المسلمون أن يصدوا الهجمات البيزنطية، بل ويشنوا منها هجماتهم العسكرية على الأراضي البيزنطية، وهكذا فقدت القسطنطينية واحدة من ... تدافع عنها وعن أملاكها والتي مهدت للمسلمين بعد ذلك الهجوم على هذه العاصمة ...

ويرجع ... المسلمين على جزيرة قبرص أنها تقع على مهم وحيوية كبيرين لموقعها وأهمية الجزر التي كان يستولي عليها البيزنطيون بشرق البحر الأبيض المتوسط، إذ رأوا ضرورة الاستيلاء عليها ... تتمتع به من مراكز إستراتيجية هامة ولشل حركات الروم البحرية.

وكانت هذه السياسة البحرية للأسطول العربي الإسلامي ميدانا واسعا ذلك أن الجزر تنتشر في شطر شرقي البحر الأبيض المتوسط بحيث تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة يتصل بعضها ببعض عن طريق مضايق وفتحات صغيرة لكيلا تسيطر عليها تتم السيادة على ما يليها من بحار ... ولم يقتصر على هذه البحار من أراض وبلاد ومن ثم سارت حركات الأسطول العربي ... تلك الجزر حسب سياسة واضحة وموضوعة تهدف أولا إلى تأمين سلامة الشواطئ العربية من ... غربية ... لأراضيهم، ثم الاستيلاء على غيرها من الجزر التي تتحكم في كثير من ... المضايق البحرية ... الروم وسد الطريق في وجه هجماتهم. وقد اشتهر أمراء البحر العربي شجاعة ... في هذا المضمار، ومن ذلك أنه استرعى نظر قادة العرب وعلى ... في ... أثناء إغاراتهم على قبرص وقوع جزيرة تدعى إرواد بالقرب من ساحل الشام، ...



أول دافع للأسطول العربي وهو معاونة بالشخص ... في حقل أرواد يهدد سلامة الإسلام والمسلمين ... جانب ولايته فكانت جزيرة أرواد ... المعمور بالرغم ما نمت عليه من صلات الشام في ... من مشاهد الأسطول العربي في مياه البحر المتوسط ... المسلمون فقد كان أهل أرواد يحترفون القرصنة على ... بلاد قريبة منهم وإلى البعيدة. نفسها الطرق التقليدية في الاستعانة بالتجارة لتدعيم ركنها الاقتصادي، فكان أهالي هذه الجزيرة يستغلون حب حبيهم به الطبيعة من مركز جغرافي ممتاز في ميدان التجارة وأبدوا حسمياً مهماً في تنمية مواردهم الاقتصادية عن طريق ميدان القرصنة ... وقد جعلهم هذه الأمور أهلاً يسمون بالغدر وبالبعد عن مواضع الثقة والتقدير.

وعقد معاوية العزم على التخلص من محاربته من تلك الجزيرة بالاستيلاء عليها فقاد الأسطول العربي بهجمتها سنة ٢٨هـ/٦٤٨م بعد عودته من الإغارة الأولى على جزيرة قبرص واستطاع الأسطول الإسلامي السيطرة على شواطئ تلك الجزيرة وإنزال الجند ... بها. ولكن أهل أرواد رفضوا الإذعان والتسليم واعتصموا بقلعة الجزيرة على الرغم من ... أحد الأساقفة، حيث رأى أن يبصر سكان هذه الجزيرة بعاقبة الإصرار والعناد. وكانت خطة العرب البحرية تسير على أساس ... على جزر البحر الأبيض المتوسط أولاً فإن أبوا فالقتال حتى النصر، وعادت حملة إلى ... أمام موقف أهالي الجزيرة منهم على أن يعودوا إليها في العام التالي.

ويعمر عادوا حملة ثانية في العام التالي لمهاجمة جزيرة أرواد ودخلوا الجزيرة وهدموا ... وأمروا جميع أهاليها بإخلاء الجزيرة تماماً، جزاء عنادهم الذي تجلى في مقاومتهم ... في مرة سابقة، ولم يكن في هذا التصرف الذي اتخذه المسلمون شيء من ... ووقت ... وفهم لطبيعة سكان هذه الجزيرة ووسائلهم التي اعتمدوا عليها لإنهاك ... فكان أهالي هذه الجزيرة يتجسسون دائماً لهرائم العاصمة ويحتفظون ... بالاعتصام ... حتى يزول الخطر المحيق بهم، ولذا قضى المسلمون نهائياً على ... في هذه الجزيرة ومنابعها وأمنوا ما قد يجيش بنفوس أهاليها من عدوان ولا سيما ... شر ... في وضوح وجلاء



فتح صقلية



وهكذا، لم يقم الأسطول العربي بنشاطه البحري المبكر عفويا نتيجة تخطيط مرتجل، وإنما سار العرب في أعمالهم البحرية وفق سياسة واضحة، تهدف أولا إلى حماية ممتلكاتهم، ثم إقصاء الروم عن أي مكان تتجمع فيه أساطيلهم لمهاجمة أراضي العرب. ومن آية هذا التفكير العربي السديد هو اتجاه الأسطول العربي للهجوم على جزيرة صقلية، إذ لم تكن هذه الجزيرة بعيدة كل البعد عن أن تكون موضع خطر مباشر على أقاليم الشام ومصر. ولكن مجريات الأحداث دلت على أن صقلية غدت قاعدة لأساطيل الروم التي انسحبت من سواحل الشام ومصر بعد الفتح العربي لهما، ومركزا تهجم منه على العرب بحيث تشل تعاون البحري بين أسطوليهم في مصر والشام. وكانت صقلية بموقعها الجغرافي تتحكم في المداخل الرئيسية الكبرى شرقي البحر الأبيض المتوسط، إذ هي تقسم البحر الأبيض المتوسط عامة إلى قسمين رئيسيين وتشرف على الاتصال بينهما عن طريق مضيق ميسينيا Misenea ومضيق صقلية الواقع بين طرف جزيرة صقلية الجنوبي وشمال إفريقيا، ثم إن جزيرة صقلية تقع في كل بلاد الروم البعيدة عن متناول الأسطول العربي، مساعدات جعلتها أعظم قاعدة لأسطول الروم في شرق البحر الأبيض المتوسط. وكانت مصر أول من أدرك خطورة اتخاذ أساطيل الروم قاعدة لها في صقلية، ومن ثم تكاتف الأسطول العربي المصري والشامي في الهجوم على تلك الجزيرة لتقليم أظافر الروم وبث الرعب في نفوسهم. ... الأسطول ... من ... ثم ... الروم ... بحرية مصرية ... ٣٢هـ/٦٥٢م ... صقلية ... جزيرة ... و ...

كنيسة سان جوفاني بصقلية، وتظهر عليها التأثيرات الفنية الإسلامية

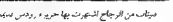


والهراوة، وتعسف الشعر في حصون الجزيرة [illegible] الإسلامية معقل الروم في الجزيرة وأخذت حماتهم [illegible] داخل الجزيرة ثم أتبع العرب [illegible] الإغارة [illegible] والمدن العربية من السواحل. ثم عادوا بعد هذا بعصر [illegible] سواحل الشام. وقد توالت اعتداءات المسلمين بعد [illegible] صقلية حيث خرجت وحدات الأسطول تارة من [illegible] وتارة أخرى من مصر حتى صار مركز أسطول الروم ضعيفاً ولا تقوى شوكته على صد الأسطول الإسلامي. ولا شك فيه أن دخول العرب صقلية قد فتح الباب على مصراعيه لكي تنتشر الروح العربية الإسلامية بين الشعوب الأجنبية، فتنتشر الإسلام في هذه البقاع من الأرض وكانت [illegible] خير معبر، حيث خرجت ثقافتهم وحضارتهم إلى العالم الخارجي. وحيث غدت صقلية فيما بعد واحدة من مراكز إشعاع الحضارة الإسلامية.



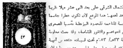
فتح رودس





جرات من الزجاج اشتهرت بها جزيرة رودس قديما

ويعد نصر [illegible] الأسطول الإسلامي على [illegible] في عهد عثمان بن عفان [illegible] معاوية بن أبي سفيان [illegible] الأحمر [illegible] لأجزاء [illegible] لاستكمال السيادة التي [illegible] وخاصة في المجال البحري [illegible] الأسطول الإسلامي شطر رودس أهم جزر بحر إيجه وأعلاها مكانة في دولة البيزنطية من حيث نشاطها البحري وحركة صناعة السفن بها، فهذه [illegible] حلقة من حلقات سلسلة [illegible] من ناحية الشرق [illegible]



من جنوب العربي إلى الشمال الشرقي على بعد اثني عشر ميلا تقريبا من الساحل الأسيوي، وقد أهلها هذا الموقع لأن تكون خطرا جاسما على أطراف الشام الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية نسبيا الصحرى شوكة مسلطة على إقليم العواصم والثغور الشامية، وقد بعث معاوية حملته بفتح رودس سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م تحت قيادة جنادة بن أمية الأزدي، واستطاع هذا القائد أن يستولي على الجزيرة عنوة، ونظرا لأن هذه الجزيرة كانت من أنسب الأماكن لإقامة المسلمين، فقد أمر معاوية ببناء حصن بالجزيرة وبعث إليها جماعة من المسلمين يرابطون للدفاع عنها وبلغ من اهتمامه بحماية رودس أنه كان يجدد أفراد ذلك دائما ويستحب الذين أقصوا بالجزيرة مدة طويلة، وذلك لكي يبقى على بأس حاميته وقوتها، وأرسل إلى المسلمين هناك الفقهاء والمعلمين لتثبيت الإسلام في قلوبهم



أراد معاوية أن يقطع كل الطرق على البيزنطيين فرأى أن يستولي على هذه الجزيرة بسبب منافذ بحر إيجه الرئيسية في وجه البيزنطيين، وهذه الجزيرة تسيطر على بحر إيجه فأرسل معاوية أسطوله وجنوده للاستيلاء على هذه الجزيرة، ولكن جنوده لم يستطيعوا الاستيلاء عليها، ورغم هذا تلو القوى البحرية الإسلامية الناشئة أثناك على فتح هذه الجزيرة التي تشبث بها الروم، فاكتفى المسلمون بشن غارات هجومية عليها للفتك بالبيزنطيين فيها وإلحاق الأذى بأسطولهم

ثم لا شك فيه أن هذه الانتصارات كلها قد زادت من قوة المسلمين وبأسهم وأوحدت عددهم ترغبه في التوسع وبسط النفوذ الإسلامي إلى أكبر حد ممكن، كذلك كسب على الإمبراطور قسطنطين أن يشهد كل هذه الهزائم، التي رادته حقدا على المسلمين وتصميما على دحرهم وبدأ مصرع بتوحيد أشكالا معتدة بين القوتين العظميين تدفع إلى أن حدثت موقعة ذات الصواري البحرية بين الجهتين ... العربية على البحر الأبيض المتوسط وكانت هذه واحدة من أهم ... المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين، فكما أن موقعة اليرموك كانت المواجهة الحاسمة لأمن البر ... بين القوتين الإسلامية والبيزنطية، أصبحت ذات الصواري المواجهة البحرية التي بها تمهد سيطرته في البحر الأبيض وحولته إلى بحيرة إسلامية كبرى كما سنرى



معركة ذات الصواري

كانت الانتصارات السابقة حافزاً شجع معاوية على استمرار فتوحات البحرية الإسلامية وكانت أولى [illegible] استكمال هذه السياسة هي الاستيلاء على القسطنطينية [illegible] التي [illegible] الأمور في عدوة البيزنطيين [illegible] سنة ٣٤هـ [illegible] ذهب [illegible] إلى الإمبراطور قسطانز الثاني (٦٤١ - ٦٦٨م) [illegible] معاوية بعد [illegible] تحولاً كبيراً وحيث كانت المهاجمة القسطنطينية فعمل الإمبراطور قسطانز الثاني على أن يلاقي هذا الخطر المقبل، وعول على الخروج قاصداً الشام ليدمر الأساطيل الإسلامية قبل أن يتحرك من قواعده. وفي الفترة التي أسرع فيها قسطانز بإعداد سفنه الحربية نشط وكلاء دولة بيزنطية بالشام لعرقلة الاستعدادات الإسلامية، وقد نجح هؤلاء العملاء في تدمير معدات الإسلامية التي حشدها معاوية في طرابلس وأطلقوا الأسرى من السجون ثم فروا إلى آسيا الصغرى. لكن تمكن معاوية من إصلاح كل هذا وأعد آلات الحرب ثانية وسار معاوية [illegible] من قواته البرية سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م إلى مدينة قيصرية بآسيا الصغرى على حين وصلت سفن حربية من مصر [illegible] سواحل الشام وانضمت إلى الأسطول الإسلامي على أن الأسطول الإسلامي توقف قرب سواحل ليكيا عند فونيكس Phoenix حيث علم بما اقتراب الأسطول البيزنطي وعلى رأسه الإمبراطور نفسه، أما عن الأسطول الإسلامي فكان تحت قيادة عبد الله بن أبي سرح وظهر أسطول الروم أمام المسلمين، وقد راعهم منظر سفنه التي كثرت صواريها وربما وقع شيء من الرهبة في نفوس المسلمين فقد جاء قسطانز عاقداً العزم على ضرب المسلمين ثم، وربما لأن الريح كانت في ذلك اليوم غير مستقرة فلم يلتق الفريقان إلا في اليوم التالي وقضوا ليلتهم [illegible] صفوف كل فريق، فعن المسلمين يقال أنهم ظلوا يصلون ويستغفرون طيلة الليل، [illegible] الروم يقال أنهم أخذوا يدقون النواقيس استعداداً للحرب. [illegible] في صباح [illegible] وجه الأسطول الإسلامي [illegible] السفن البيزنطية بالسهام [illegible] ذخيرتهم، وذلك لأن السفن البيزنطية [illegible] على [illegible] السفن الإسلامية [illegible] [illegible] أنه سائر نحو النصر، [illegible] [illegible] وهي أنهم ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض ورموا الكلاليب [illegible] سفن بيزنطية [illegible] وأخذوا يتقاتلون بالسيوف والخناجر [illegible] [illegible] أسر سفينة القيادة الإسلامية وكاد أن ينجح لولا شجاعة [illegible] [illegible] حيث ضحى بنفسه في سبيل قطع السلاسل التي جذبت السفينة نحو الأسطول [illegible] [illegible] على البيزنطيين وهزموا في هذه المعركة، وكاد الإمبراطور [illegible]



[illegible] على التحول وخرج من المعركة بأعجوبة في أحد القوارب [illegible] حيث نفى منفى عنه هناك على أيدي بعض [illegible] [illegible] حول نقل مقر الحكم من القسطنطينية إلى [illegible] وقد تعدى المسلمون والبيزنطيون في هذه المعركة والتي [illegible] وقد سأل عن مصير [illegible] الصحراوي فنحن لا نعرف تقريبا ما تمت به [illegible] إلى قطع الاتصالات والإمدادات بين البيزنطيين في البحر [illegible] في [illegible] الصحرى

وكان من أهم نتائج المعركة هو اعتراف مرتبطة بالمسلمين كقوة عظمى [illegible] فكرة [illegible] على المسلمين وطردهم من المناطق التي استولوا عليها، [illegible] البيزنطيون إلا مثل هذه الفكرة ضرب من ضروب الخيال، كذلك عمد كل فريق منهما إلى تقوية [illegible] لينسحب كل منهما محساب الآخر على [illegible] الإمبراطور [illegible] بعد ذلك تأديب عنصر السلاف في البلقان لعله يجد ضالته المنشودة في نصره على السلاف

في أعقاب هذا النصر دخلت الدولة الإسلامية في فوضى بمقتل الخليفة عثمان بن عفان [illegible] عن مواصلة الهجوم على الأراضي البيزنطية كذلك فإن معاوية ابن أبي سفيان بعد تقوية [illegible] أحد يتجه إلى الأحداث الدائرة في الدولة الإسلامية محاولا الإفادة منها وقد حدث هذا [illegible] حينما تولى الخلافة علي بن أبي طالب وحدث ما سمي بفتنة [illegible] والتي [illegible] الإسلامي على أثرها [illegible] المسلمون في فترة من الحروب والصراعات [illegible] عن [illegible] الإسلام والخروج به إلى آفاق جديدة وفرص جديدة إلى أن انتهت هذه [illegible] بها [illegible] الإسلام وخرج معاوية بن أبي سفيان ليؤسس أسرة جديدة [illegible] [illegible] عهد [illegible] الفتوح الإسلامية عصرها الذهبي في عهد مؤسسها [illegible] معاوية بن أبي سفيان

وهكذا [illegible] العديد من أدوار المواجهة العسكرية التي خاضها المسلمون [illegible] [illegible] [illegible] للتأثيرات الحضارية والثقافية، والتي لا تقل عن المواجهة العسكرية، من حيث [illegible] والتي أثرت كلاهما [illegible] البيزنطية والإسلامية [illegible]

[illegible] سوى أن نتعرض له وهو ما طبيعة التأثيرات التي أحدثها [illegible] على الإمبراطورية البيزنطية نفسها؟

[illegible] الإمبراطورية البيزنطية منذ نهاية القرن السادس الميلادي وحتى [illegible]



السلافي يعني من أزمة اقتصادية حادة، نجمت عن الحروب التي خاضها الأباطرة السابقون أمثال الإمبراطور جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م والإمبراطور موريس ٥٨٢-٦٠٢م، مع أعداء الإمبراطورية البيزنطية شرقاً وغرباً، الفرس والقوط الشرقيون والقوط الغربيون والوندال والأفار والقبائل السلافية.

وبينما كان الإمبراطور موريس قد حاول إجراء بعض الإصلاحات بخاصة بخصوص شؤونه وجيشه، إلا أن حكومته المؤقتة كانت أكثر ردّاً داخلياً على مزيد من إصلاحات جذرية لإصلاح المؤسسات الداخلية في بيزنطة، فقد فقد الإمبراطور موريس حياته، بل وحتى أسرته ضحية الإصلاح الذي حاول القيام به، وكان من أبرز أسباب ذلك الإصلاح أنه حاول تخفيض الخزانة الإمبراطورية من عبء المرتبات التي كانت تدفع للمرتزقة للدفاع عن حدود الإمبراطورية؛ حيث سعى جاهداً للاعتماد على العنصر الوطني كقاعدة للتجنيد، وأمر قواته لا سيما المرابطة على الدانوب، بالاعتماد على الموارد المحلية هناك كمصدر للإعاشة بدلاً من الميرة والرواتب التي كانت ترسل من القسطنطينية، بل وصل به الحد إلى قيامه بالحد من ظاهرة الرهبنة التي لجأ إليها السكان للهروب من التجنيد.

قبر عثمان بن عفان بالمدينة المنورة









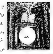
عملة عليها صورة الإمبراطور هرقل

وازدهد بعض سمه في الإدارة البيزنطية عندما تولى فوكاس حكمه ٦٠٢ – ٦١٠م، وانهار الجيش والمؤسسات العسكرية، وحيث احرقة الإمبراطورية من الأمور ملازمة للروم عن حدود الإمبراطورية، لاسيما وأن الفرس المطالبين بالثأر لصديقهم الإمبراطور موريس، انسالوا إلى أراضي الإمبراطورية فاقتطعوا منها أغنى ولاياتها، حيث خضعت لهم سوريا وبلاد الشام وفلسطين ومصر. وما كاد الإمبراطور هرقل ٦١٠–٦٤١م قد استطاع أن يرد عن حدود دولته وأن يطرد الفرس من بلاده، بل ويدخل إلى العاصمة الفارسية نفسها بقواته، ولم يكن في حسبانه أن التأثيرات التي سيحدثها ظهور المسلمين في المنطقة سوف يكون لها أثر أكثر عمقاً من الاحتلال الفارسي لأراضي مرتبطة إبان حكم فوكاس. فقد نزع المسلمون بلاد الشام من أيدي البيزنطيين، ثم تلاها فتح مصر ثم ولاية إفريقية. وهكذا فقدت بيزنطة أغنى ولاياتها في مصر وبلاد الشام، وتوقفت شحنات القمح التي كانت ترسل من مصر إلى القسطنطينية واضطربت التجارة المارة عبر أراضي مصر أو عبر أراضي بلاد الشام إلى القسطنطينية، الأمر الذي نجم عنه حدوث بعض الاختناقات الاقتصادية في القسطنطينية، مما دفع بالإمبراطور هرقل إلى القيام بعدة إصلاحات جذرية للنهوض بمؤسسات الاقتصادية والعسكرية في دولته.

وتعتمد فكرة الإصلاح التي قام بها الإمبراطور هرقل على ركيزة أساسية وهي منح الأرض إلى قطعي دولة ممكنة، فأمر بتقسيم أراضي الإمبراطورية البيزنطية إلى مساحات متساوية، على أن يوزع عدد



تشكيل فشر ٤٠٠



الا أحد على أحد، كل حسب حاجته، مقابل التزام من جانب أصحاب الأراضي بأداء الخدمة العسكرية كفارس في الجيش البيزنطي عند الحاجة، وهكذا أصبح الجنود البيزنطيون فلاحين عاملين بالزراعة في وقت السلم، محاربون أشداء عندما تطلب الحرب ذلك. وفي هذه الحالة كان على أسرة المقاتل أن تتولى رعاية الأرض حتى يعود من الحرب، وإذا قدر له أن يقتل في المعركة كان على أسرته أن ترث الاحتفاظ بالأرض، أن تقدم أحد أبنائه عوضا عن أبيه للقيام بالخدمة العسكرية، أو أن تقدم فرسا مجهزا على نفقتها الخاصة، هكذا عرف هذا النظام باسم "الاستراتيوتيكا كتيماتا"، ويمكن ترجمته باسم "الأراضي العسكرية الموقوفة".

لم يكن هذا هو الإصلاح الوحيد الذي أجراه الإمبراطور هرقل وطوره مع ظهور مسلمين، بل قام بإعادة توزيع الفيالق العسكرية في الأقاليم البيزنطية، وجعل حاكم الإقليم، وهو في نفس الوقت قائد جيش المحلي، يجمع في كلتا يديه الإدارة العسكرية والمدنية في آن واحد. وهو نظام معروف باسم "الأقاليم العسكرية" أو "الثيماتا" بلغة المصادر البيزنطية، وبهذا صار هذا النظام هو الأساس الذي أصبح قاعدة، لا للتعبئة في الجيش فحسب، بل للتنمية الاقتصاد البيزنطي المدعي في ذلك الوقت.

وتجدر الإشارة إلى شهادة الإمبراطور قسطنطين السابع، الذي يعزو نظام هذا التقسيم إلى الأقاليم العسكرية "إلى الإمبراطور هرقل. وذلك في كتابه المعروف باسم De Thematibus.

وجدير بالذكر، أن كلمة ثيم أو ثيما Θεμα كانت تعني في البداية فرقة عسكرية أو فيلق من الجند، متمركزة في أحد أقاليم الإمبراطورية، ثم بدأ اسم الفرقة أو الفيلق وكذلك المصطلح العسكري ينتقل تدريجيا إلى الإقليم نفسه الذي تقيم به هذه الفرقة أو الفيلق، وحمل الإقليم الاسم الجديد به ثيما بدلا من مقاطعة أو أبرشية Eparchia. ومن ثم أصبحت بكلمة أولى مستخدمة في المصادر البيزنطية لتشير إلى الأقاليم الإدارية التي تقيم بها الفيالق، أو الفرق العسكرية. وأصبحت كلمة ثيما في القرن التاسع، تحمل إلى جانب معناها الإداري والجغرافي معنى عسكري محدد، يعبر عن فرقة أو فيلق عسكري مكون من عدد معين من الجنود، أمر بأمر ضابط ذي رتبة عالية، وهو الاستراتيجوس. وعلى هذا فقد آثرنا أن نترجم كلمة ثيما إلى "إقليم عسكري" لأن هذه الأقاليم كان يغلب عليها الطابع العسكري كما سنرى، ولأن حكامها كانوا يحملون لقب استراتيجوس، الذي يعني بالعربية قائد عسكري.

كما أن الأمر أثار المؤرخ شتين Stein إلى أن الجهود التي بذلها الإمبراطور هرقل في نظام الأقاليم العسكرية تتفق مع الإصلاحات التي تم تحقيقها في إمبراطورية الساسانيين



[illegible] الإسلامي، على يد بعض ملوكها أمثال قباذ وكسرى [illegible] هذا التكتل اثارة الامبراطورية الفارسية [illegible] وقد أراد هرقل أن يسير على نهجهما من [illegible] شديدة تنظم دولة الأعداء [illegible] له في الحصول على بعض المصادر من [illegible] هذا ما جعل المؤرخ داركو يعتقد أن ثمة تأثرا [illegible]، جعل [illegible] يستلهمون نظام الأقاليم العسكرية من فارس. أما أوستروجورسكي [illegible] فقد رفضا ما عرضه شتين وداركو؛ لأنه كما هو واضح ذلك النظام يرتبط ببعض مؤسسات الإمبراطورية الرومانية المتأخرة أو البيزنطية المبكرة. ومن خلال ذلك ينبغي علينا أن نوضح علاقة نظام الأقاليم العسكرية الجديد بالمؤسسات الأولى التي لخصها أوستروجورسكي، فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي تنقسم إلى مجموعة من القيادات العسكرية، يتولى قيادة كل منها أحد القادة العسكريين Magister Militum، تكون في الشرق القائد العسكري العام للشرق، ثم القائد العسكري العام لأرمينية، منذ إنشاء جستنيان، وكان في الغرب القائد العسكري العام لتراقيا، وأخيرا القائد العسكري العام لإليريا؛ وأضاف جستنيان إليها للدفاع عن فتوحاته الجديدة، القائد العسكري العام لإفريقية، ولإيطاليا أيضا [illegible] في القسطنطينية ذاتها فكان بها القائد العسكري للقوات العاصمة.

وقد عاشت هذه النظم طويلا، وكان هناك قادة الشرق العسكريون في تراقيا وفي أرمينية، وفي إفريقية وبعدئذ تحت حكم الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، ومن بعده الإمبراطور فوقاس (٦٠٢-٦١٠م) ويرى شارل ديل أنه منذ عصر جستنيان، كانت توجد، ونفس الأمر [illegible] القيادات العسكرية للقرن السابع، ولا يتردد في الاعتراف بوجود رابطة [illegible] كمؤرخ شرب دين بحمله قادة جستنيان العسكريين أسلافا لقادة Strategi [illegible] كان القائد العسكري العام لأرمينية هو القطب المحرك لاستراتيجوس [illegible] في القرن السابع، على حد قول ديل. ولكن منذ نهاية القرن السادس [illegible] الإمبراطور موريس [illegible] كان له أثره في مواجهة هجمات اللومبارديين في إيطاليا والبربر في إفريقية [illegible] ومن بعدها أرخونية إفريقية، وجمع هذا الإرخون [illegible] سلطات عسكرية [illegible] فكان له الإشراف التام على كل [illegible] في ولايته [illegible] من شبهه بما فيهم الحكم المدني، وبهذا النظام تم بلغه الفصل الواضح بين السلطة [illegible] في حكم الولايات، بالعمل على توحيدها في يد شخص واحد [illegible] في الأقاليم العسكرية المختلفة [illegible] كان كبار القادة في الإدارة [illegible] نفوذهم الكبيرة التي كانوا يتمتعون بها في الماضي في مواجهة [illegible]



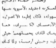
كما أن الدافع هو الثقة العميقة راحب طربحا سحمع تحت مسعه على
العسكري الذي نظم عسكريا. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يرى
أرخونتيا وإنما وظيفة عسكرية سعى أن تدرب على أنها ... حسنة
لتنظيم الثيمات، الذي نشأ في شبه أسلاف الإمبراطورية بعد من
القرن السابع الميلادي. بينما يرى البعض الآخر أن الإمبراطور هرقل
هو الذي طور هذا النظام (نظام الأرخونية)، وطبقه على ... تحت
مسمى الثيمات. ويمضي هذا الرأي أكثر من هذا ويحدد أن هذا بعد
عبقرية هرقل ... على آسيا الصغرى، في الفترة من ٦١٩-٦٢٢م مجبرا بعض
من مستحدثات الثلاثية الثانية.

ويؤيد مؤيدو هذا الرأي، لأن الإمبراطور هرقل هو ابن هرقل حاكم أفريقية وقائد قواتها،
وقد عرف كل شيء عن نظام الأرخونية، وأدرك بثاقب بصره نجاح ذلك النظام (رخوته)
الاقتصادي، وبعد هذا ما دفعه إلى التفكير في أن ينقل عاصمته في عام ٦١٨م إلى قرطاجة
ومنها ... ربما يكون قد شعر بأن هذا النظام هو الذي تحتاجه الإمبراطورية في الأوقات العصيبة
التي كانت تمر بها. ... الحروب المستمرة مع الفرس والأخطار الناجمة عن الآفار والسلاف
... في تطبيق هذا النظام الذي يعرفه، والذي يصحح نقاط الضعف في الإدارة، كما أنه
يكفل له الدفاع عن الإمبراطورية.

وعلى حين يكون نظام الأقاليم العسكرية (الثيمات ...) قد حمل بين ثناياه بعضا من
آثار الأرخونية التي حملها هرقل معه من أفريقية إلى القسطنطينية، ويعتبر في نفس الوقت حلقة
وصل تربط بين النظامين القديم والحديث (الأرخونية - الثيم) على الأقل في مراحله الأولى
لتطبيق هذا النظام، على عهد الإمبراطور هرقل ولكنه سرعان ما ... بعد ... جديدة في
القرنين الثامن والتاسع من الميلاد عندما أخذت الصبغة البيزنطية للإمبراطورية، ومن ثم انعكست
بدورها على كل مؤسساتها، لاسيما النظم العسكرية والإدارية بصفة خاصة.

... أن الأقاليم العسكرية لم تنشأ جميعها في ... واحد ... من
... صفة
... الأقاليم
... البيزنطية، لا
...
... أول

أسلحة رومانية





جندي روماني

وصـــر أسمـاء الأقاليم العسكرية الجديدة الآسيوية صـها سهولة، فكان إقليما الأناضول، والأرمنساق الكـــبران، همـا الإقليمـان اللذان يحمـلان جيش الشرق، وجيش أرمينيا، ولما كان الأصل في هذا النظام هو نزول فرق معينة، أي مجموعة من الكتائب للدفاع عن نواح معينة، فمن هنا، لو سميت باسم الثيمات Themes، ومن ثم كان كل إقليم في البداية يسمى باسم الفرقة التي ترابط فيه، مثل فرقة الأرمنياقين، و فرقة البوقلارية. وفيما بعد عندما كانت الإمبراطورية تسترد مناطق جديدة من أعدائها، كانت ترفعها إلى مرتبة الإقليم العسكري، وأطلقت على هذه الفرق (الثيمات) الأخيرة أسماء جغرافية مثل الثيم الخرشني، أو السلوقي حسب الموضع نسبة له أو ثيم الكبادوكي أو البيلوبونيزي حسب الاسم القديم للمقاطعة



وكان كل حاكم من حكام هذه الأقاليم يسمى ستراتيجوس، أي قائد، وقد عكس لقبهم هذا لأصل العسكري لوظيفتهم؛ ولكن كانت هنالك استثناءات، حيث كان قائد إقليم الأوبسيق يسمى قومس Comes، وقائد إقليم الأوبتيماطي يسمى دومستق، وكان يوجد إلى جانبهم في الغرب لسبع قرب أرخون كما كان قائد الإقليم البحري كيبرايوت يسمى دروجنير، وهذه الألقاب تنتمي بوضوح إلى جهة التقليد العسكري ولا تتضمن في جوهرها أي انتساب إلى النظام المدني

أما عن حدود الثيم فقد كانوا ينتسبون إلى طبقة اجتماعية ثرية نسبيا، أعلى من تلك التي للفلاحين الذين يشكلون الطبقة الدنيا، وبدون شك يكون ذلك متناقضا عند وردوا في قائمة احتجاج ستراتيجوس في مرتبة الصدارة من مراتب الأسمية في الإمبراطورية البيزنطية

ولا بد [illegible] تاريخ نشأة الأقاليم العسكرية، أو الثيمات على حسب التعبير [illegible] ومن [illegible] للمسلمين في القرن السابع والحالة الاقتصادية [illegible] في [illegible] قد يكون من المناسب أن نتعرف على النظام الإداري فيها

[illegible] بالأقسام، ومهمته الإشراف على سائر [illegible] عسكرية [illegible] ومن ثم فهو الرئيس الأعلى للإقليم، وهو [illegible]

لجيش مقيمة فيه. وقائد الإقليم ممثلا للإمبراطور في [illegible] له يقوم بشؤون [illegible] الملك في إقليمه، وذلك [illegible] معه؛ ويخضع له، رغم [illegible] الإقليم في دائرته كافة الشعب الإدارية، كإدارة الأراضي، وإدارة العدل، والشئون المالية [illegible] له كان [illegible] الشرطة، ومسئولا عن [illegible] الجنود في إقليمه. وكان قائد الإقليم يعين لمدة محددة [illegible] ثلاث [illegible] سنوات، ولا يستطيع خلالها أن يبرح المكان دون تصريح خاص من القسطنطينية، ولا [illegible] معينة، (لأسباب عسكرية كالمشاركة في حملة) أو لأسباب دينية [illegible] مقدسة. كما كان قائد الإقليم يعين مرؤوسيه إما عن طريقة مباشرة، أو عن طريق الإمبراطور، بعد مشاورته، وقد كانت لديه السلطة عند اللزوم أن يعزل مساعديه.

وكان لقائد الإقليم سلطة على الشعوب الأجنبية المقيمة داخل حدود إقليمه، مثل مردة في إقليم كيبريوت وبعض أخرى (كيفالونيا، نيقوبوليس، ثسالونيكي)، والسلاف في (أوبسيق، والسلاف في مقدونية، و الميلنجي Melinggoi وإزريتاي Ezeritai في البيلوبونيز، والسلاف في هيلاس (أي اليونان). وكان له أيضا الحق في تعيين رؤساء العشائر المقيمين في دائرة اختصاصه، فهو يعين [illegible]، وقادة السلاف في الأبريق، [illegible] السلاف في [illegible] أما بالنسبة لقائد المردة في أطاليا، وهو ضابط ذو رتبة عالية، فكان يتم تعيينه مباشرة من قبل الإمبراطور، كالرحود السلاف في الهيلاس.

كما كان لقائد الإقليم حق التدخل في المنازعات التي تدور بين المؤسسات الخيرية في إقليمه، وله حق [illegible]، وحبس المشبوهين ومرتكبي مختلف الجرائم. كما كان يقضي في جرائم [illegible] عسكري، ويصدر الأحكام فيها بمساعدة موظفي الإقليم، مثل الأشخاص [illegible] و حكم بالإعدام.

ورغم من سلطات قائد الإقليم العسكرية والمدنية الواسعة، كان يحظر عليه بشكل قاطع، [illegible] وظيفته، أن [illegible] أي شيء يصلح لاستعماله الشخصي، أو يكتسب ملكية دون تصريح خاص، سواء عن طريق الهبة أو الشراء. ويحظر عليه كذلك [illegible] شرعي مع عائلة [illegible]، وعلى العكس، كانت كل هذه الأمور مباحة [illegible]

[illegible] من الممكن أن يسيء قائد الإقليم استخدام سلطته، نتيجة لأن [illegible] أكبر [illegible] الحكومة المركزية وصعب [illegible] عن الشئون [illegible]



... يوس والبروتونوتاريوس في قضاء الإقليم، وكان البروتونوتاريوس مسئولا عن الحسابات المالية، ويتبع كارتولاريوس الـ Sacellion وله حق في التراسل مع الامبراطور مباشرة، وبالرغم من أن هذين الموظفين كانا في بعض الأحيان يعينان لدى قائد الإقليم، فإن وجودهما لا يعني أنهما كانا تحت سلطته، فهما مسئولين أمام الحكومة المركزية مباشرة وكان يرأسهما موظف يسمى الكارتولاريوس، وهو المسئول عن حفظ السجلات العسكرية في الإقليم، والإشراف على شئون الجند، ودفع رواتبهم، وبهذا كان مسئولا أمام لغثيث الخزانة العسكرية (الاستراتيوتيكون)، ويبدو أنه كان يخضع لقائد الإقليم ومذكور في هيئة موظفيه، وكثيرا ما نجد ذكره في مصادر بيزنطية.

على أية حال، إذا كان بروتونوتاريوس الإقليم والكارتولاريوس، وأيضا بريتور يخضعون فعلا، في بعض الظروف، لسلطة قائد الإقليم، فإنه من المؤكد أنهم كانوا يتبعون سلطة الإمبراطور بطريقة مباشرة، بوسيلة الرقابة على الإدارة والمسائل المدنية والعسكرية. على حد تعبير الامبراطور ليو السادس ٨٨٦ - ٩١٢، وبذلك يكون من الواضح أن الحكومة المركزية حفظت لنفسها بحق معين في الإشراف، لكي تسيطر على قادة الأقاليم وتكبح جماحهم. وكان يؤكد نفس الغرض أيضا موظفون يبعثون من قبل الإدارة المركزية كمراقبين ومفتشين. كما كان للأساقفة ينصحون بأن يراقبوا الإجراءات الإدارية في أقاليمهم.

ومع ذلك، يكون من الواضح أن قائد الإقليم كان ذا سلطة عظمى، لاسيما وأن الإقليم الواحد كان يشمل عديدا من الأقاليم القديمة، وبالتالي اتخذت التنظيمات الإدارية الجديدة طابعا عسكريا واضحا. ولا ينبغي أن ننسى أن الأقاليم الأولى كانت في بادئ الأمر قليلة وشاسعة، وحكامها جمعوا في أيديهم السلطتين المدنية والعسكرية. ومن الضروري أن نشير إلى الجانب الآخر من مهام قائد الإقليم، أي إلى الجانب العسكري، أو التنظيم العسكري للأقاليم البيزنطية.

بعد ثورة كل إقليم من الأقاليم البيزنطية شيئا واحدة (أي فرقة عسكرية)، قسمت بدورها، حسب حجمها أو وفقا لأهمية الإقليم، إلى اثنين أو ثلاث تورمات (أي لواءات) Turmai، أو أربع تورمات في بعض الأحيان. ويعود كل تورما من هذه التورمات طورماخ، الذي كان يساعد قائد الإقليم في إدارة حسبه ويوضع على رأس الجناح الأيمن في التشكيل. وكانت هذه [illegible] تحمي [illegible] التي يقسم إليها الإقليم.

وهكذا، فإن نظام الأقاليم العسكرية (نظام الثيمات)، الذي أنشأه الإمبراطور هرقل، ... أن [illegible] لحماية آسيا الصغرى من المسلمين، والتصدي لكل محاولة [illegible] بجيوش [illegible] وجود عسكري لهم في آسيا الصغرى، فكان بمثابة العمود الفقري للدولة البيزنطية على حد تعبير [illegible] وجورسكي.

أما عن الجانب الإسلامي فقد أدت الهزائم التي ألحقها البيزنطيون على أيدي المسلمين من ناحيتهم، وسقوط بعض من الولايات البيزنطية سابقاً في أيديهم إلى ضرورة قيامهم بتحصين حدود وتحصين مناطق الهجوم مع البيزنطيين، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور ما يعرف باسم إقليمي الثغور والعواصم على الحدود بين الدولتين.

تجدر الإشارة إلى أن المناطق الحدية الواقعة بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية كانت وعرة للغاية ويصعب على القوات الإسلامية المرور منها بسلاسة دون وقوع كمائن أو كوارث عسكرية غير متوقعة. لقد كان على المسلمين أن يجتازوا ممرات ودروب جبلية في جبال طوروس لمهاجمة البيزنطيين، وأهمها ممران مشهوران يعرف الأول منهما باسم البوابات القيليقية، التي تقع على مقربة من حصن طرسوس، والثاني يسمى درب الحدث، ويقع شمال شرقي ممر السابق، وهو الأصعب جغرافيا من سابقه، وفيه لاقى المسلمون عدداً من الهزائم على أيدي البيزنطيين.



برج غلاطة بمدينة القسطنطينية

لم يلبث المسلمون أن عملوا على تلافي هذه الأخطار بترك حاميات عند المضايق الجبلية التي يعبرون من خلالها إلى أراضي الدولة البيزنطية، ثم قاموا بتحصين المدن التي تتحكم في هذه الممرات، فتشكلت هذه السلسلة من الحصون في منطقة التي عرفت فيما بعد باسم إقليم العواصم، على عهد الخليفة هارون الرشيد، وهي المنطقة الممتدة من طرسوس إلى سميساط حتى نهر الفرات.

وقد اتبع معاوية بن أبي سفيان، منذ أن كان والياً على بلاد الشام، سياسة تعمير تلك المدن والحصون وحشدها بالمسلمين، وأغرى المسلمين على الإقامة في هذه المدن حيث منحهم أراضي هناك، وقوى الرباط بالحصون، ... وأكمل سياساته في تحصين المناطق الحدية بين الطرفين، ... في تعمير المدن الواقعة بين الإسكندرية وطرسوس أثناء ... على أراضي البيزنطيين، حتى أصبحت حدود بلاد الشام ... مشارف جبال طوروس، الفاصلة بين بلاد الشام و آسيا الصغرى.

وعرفت سلسلة الحصون في الجهات المتاخمة للحدود ... الجنوبية للمسلمين باسم إقليم الثغور ... على حين عرف



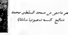
من نحو صحة على سلسلة الحصون المراقبة لما وراء الثغور ولم تلبث أن أصبحت منطقة العواصم والثغور ميادين نشاط معادية في أي مكان، لا سيما عندما ضم إليه الخليفة عثمان شمال الجزيرة وعهد به بعد اليرموك ... فعلت المسائل الحربية الضارية في شمال العراق في جهات بعيدة عن مدى معرضة للغزو البيزنطي، ثم حصن هذه المدن سيمة من الحصون شبه بالعواصم والثغور الشامية، وحصص لها حاميات دائمة يستطيع بها من الجند النظامي للدولة

وتابع معاوية أعماله في ذلك المجال باستكمال سيطرته على المعاقل والحصون جهة وجهة عن منطقة حاسية بين الدولتين ... فهذه حصن من سلسلة الحصون على مدينة ملطية، ثم مصيصة التي شحنها بالجند تحصيرا ... تلهب حب الإسلامية على الأراضي البيزنطية

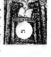


وستكمل معاوية جهوده في تدعيم وتحصين منطقة حدية بين الدولتين بناء حصن مرعش (جرمانيكا)، وإعادة ترميم حصن الحدث، للتحكم في ممر الحدث عبر جبال طوروس، وأخيرا ستوي معاوية على حصون وقرة وأيد تحصينه

وكان من نتائج تحصين هذه جهات أن انقسمت الحدود الإسلامية بين قسمين، يضم العواصم والثغور الشامية لدفاع عن بلاد الشام، والاستيلاء ... إلى الأراضي البيزنطية، وقسم العواصم والثغور الجزرية للدفاع عن شمال العراق، والمحاولات ... لا ...



منظر داخلي من مسجد السلطان محمد الفاتح (كنيسة ايا صوفيا سابقا)



وقد أدت هذه الخطوط الدفاعية/الهجومية [illegible] بين [illegible] عرف باسم "الصوائف والشواتي" في الأبليوم [illegible] الإسلامية، وهي عبارة عن إغارات سريعة مركزة نحو هدف معد قد يكون واقعا على أطراف الدولة البيزنطية أو في [illegible] هذه الصوائف والشواتي إلى إقلاق بال البيزنطيين دائما، بصورة لا تجعلهم يجنحون إلى الراحة أو الهدوء العسكري، وهو الأمر الذي كان [illegible] منهم شحذ همم الجند طوال العام [illegible] في [illegible] بصور [illegible] خوفا من تلك الصوائف والشواتي التي كان المسلمون يدفعون بها نحو أرض بيزنطة.

وأدرك معاوية بن أبي سفيان آنذاك ضرورة الاعتماد على قادة أكفاء للقيام بأمر الصوائف والشواتي بشكل تمرها المرجوة من ناحية، وحتى يجنب الجيوش الإسلامية خطر الهلاك على أيدي الجيوش البيزنطية التي كانت تجيد فن الكمائن والقتال بين المرتفعات من ناحية أخرى. فكان معاوية يستدعي القادة الأكفاء ويعقد لهم اختبارا ليقف منه على مدى قدراتهم العقلية، ثم ينتقي من بينهم أحدهم لقيادة الصائفة أو الشاتية. وبهذا أصبح ميدان الصوائف والشواتي مجالا يبدي فيه قادة المسلمين مواهبهم ويتدربون فيه على أساليب القتال. وقد برز من هؤلاء القادة [illegible] عبد الله الخثعمي، الذي لقب باسم "مالك الصوائف"، من [illegible] أبلاه في ميدان الصوائف والشواتي في بلاد الروم. كذلك اشتهر من بين هؤلاء القادة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، الذي [illegible] الصغرى عام ٦٦٣م/٤٣هـ [illegible] الكثير من الروم، وخرب عددا من حصونهم.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد شن شاتية على أرض الروم في عام ٦٦٤م/٤٤هـ، [illegible] في جماعة فيها خمسة آلاف من السلاف الذين [illegible] أراضي الدولة البيزنطية، حيث [illegible] معه في طريق العودة إلى بلاد الشام، حيث أسكنهم في [illegible]

[illegible] في [illegible] تفاصيل عامة في الأهمية حول [illegible] الصوائف [illegible] [illegible] على أراضي البيزنطيين [illegible] فذكر أن [illegible] أيام تخلو من [illegible] [illegible] تسمى الربيعة، لعشرة أيام تخلو من [illegible] [illegible] أحوال حولهم، فيقيمون ثلاثين يوما [illegible] عشرة [illegible] فيه يحصدون الكلأ في بلد الروم [illegible] وكانت دوابهم ترتع [illegible] [illegible] خمسة وعشرين يوما وهي عية حزيران، وخمسة من تموز [illegible] [illegible] ويجتمع الناس لغزو الصائفة، ثم يغزون لعشر تخلو من تموز، فيقيمون إلى وقت قفولهم

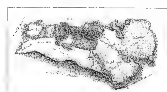
... فقد تساوى في رأيهم جميعا غزاوا إن كان لابد
... لا نفع فيه ولا يؤكل، ولكن مسيرة عشرين ليلة ...
... ما يكفيه على ظهره، وأن يكون ذلك في آخر
شهر ... إلى أيام ... فإنهم يجدون العدو في
... أصحاب ... يكون ... ويجدون مواشيهم كثيرة ثم
... دوابهم يستاقون"

... لنا ... من جعفر ... نظام الصوائف والشواتي ... كل
من نتائج المسيرة تلك المرحلة من العلاقات بين المسلمين ودولة الروم، إلى جانب ...
... وبعد أن تعرفنا على بعض النتائج البارزة التي ... على ... الروم
و... من ... الاحتكاك العسكري بينهما نحاول لنستكمل الحديث عن العلاقات بينهما
والسلام ...





بعد ... من الله على المسلمين بفتح بلاد الشام وفلسطين ومصر وشمال فريقيا وبلاد [illegible] و
وفارس، أصبح شغل معاوية بن أبي سفيان الشاغل هو غزو عاصمة القسطنطينية [illegible] وفتحها
وتحويلها إلى دار الإسلام؛ حيث كانت هذه المدينة ليس فقط عاصمة الدولة البيزنطية بل العاصمة
الروحية للمسيحي الشرقي، ودرة مدن البحر المتوسط التي تزخر بكل نفيس وغال من منشآت
معمارية، بل لا يبالغ [illegible] قلنا إن القسطنطينية كانت رمزا للجمال والثراء في عالم العصور الوسطى


خريطة الدولة الأموية

وسير معاوية حملة استكشافية في عام ٦٦٨م/٤٨هـ بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري إلى
ضواحي القسطنطينية وهي التي يعتبرها المؤرخون أولى الحملات الإسلامية على القسطنطينية؛
حيث [illegible] إلى مدينة خلقدونية، وأقام بها شتاء ذلك العام، وكانت [illegible]
[illegible] مطرا [illegible] البرد الشديد والثلوج، فظل فضالة طوال شتاء ٦٦٨م-٦٦٩م [illegible]
[illegible] التي [illegible] معاوية من دمشق؛ حيث أرسل معاوية [illegible]
[illegible] يزيد.



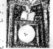
وتعتبر (...) أول هذه الحملة، التي تصفها للؤرخون على أنها من حملات الإسلامية على القسطنطينية، شارك فيها الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري. خرج جيش يزيد إلى أراضي الدولة البيزنطية حيث التحم بقوات فضالة بن عبيد الأنصاري عند خلقدونيه، وساروا جميعا نحو مدينة القسطنطينية، التي ألقوا الحصار عليها. وبعد أن حاصر المسلمون القسطنطينية فترة من الوقت، فكوا الحصار عنها في صيف عام ٤٩هـ/ ٦٦٩م، بعد أن لاقوا مقاومة شديدة من البيزنطيين من ناحية، وبعدم كفاءة أدوات الحصار الموجودة في حوزة المسلمين بما يتناسب مع ضخامة وحصانة أسوار المدينة من ناحية أخرى.

وليس ثمة شك أن وصول القوات الإسلامية إلى القسطنطينية وحصارها لعدة شهور قد أحدث صدمة في نفوس البيزنطيين، وكانت مفاجأة غير سارة لهم أدخلت الرعب والهلع في صدورهم، والأهم من كل هذا أنها نبهتهم إلى أن عاصمتهم ليست بعيدة عن أيدي المسلمين، وأنها صارت هدفا لهم. تجدر الإشارة إلى أن أبا أيوب الأنصاري قد لاقى حتفه في تلك الحملة ودفن بالقرب من أسوار القسطنطينية. وقد نال قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري قدر كبير من تكريم من البيزنطيين المقيمين في الجوار، حيث كانوا يعتقدون أنه يجلب الأمطار إليهم، وتعهدوه بالترميم والإصلاح على حد قول أحد المؤرخين.

ولم تمض بضع سنوات على عودة الحملة الإسلامية الأولى على القسطنطينية حتى أتم معاوية بن أبي سفيان استعداداته العسكرية للقيام بحملة ثانية على القسطنطينية في عام ٥٤-٥٥هـ/ ٦٧٣-٦٧٤م، هدفها الاستيلاء على مدينة القسطنطينية ذاتها. فأرسل قائده عبد الرحمن بن خالد على رأس حملة عسكرية في عام ٥٤هـ/ ٦٧٣م (...) القسطنطينية (...) بحرى (...) حتى (...) المسلمون من (...)



ضريح أبي أيوب الأنصاري



وتجدر الإشارة إلى أن عقب عساه لعام ٥٤هـ / ٦٧٣م ... والقوات الإسلامية في طريقها عبر آسيا الصغرى، ... الجزيرة ... شاطئ ... لحصن التاج

وتحقق الربيع وصل أسطول إسلامي آخر إلى ... رحلت القوات الإسلامية جميعا نحو القسطنطينية ... شهر ... الجبار الأسطول الإسلامي مضيق الدردنيل ... في الوقت الذي تحركت فيه الجيوش البرية عبر آسيا الصغرى أيضا

ستوى ... آنذاك على جزيرة أرواد (كيزيكوس) الواقعة في بحر ... وتحدوها مركز ... حربه ضد القسطنطينية. وكان الأسطول الإسلامي ينقل الجنود ويمدهم إلى القسطنطينية ... برا، في الوقت الذي كان يتم الأسطول فيه حصاره بحريا بها في نفس الوقت، وقد استمر الحصار الإسلامي البحري البري من شهر أبريل إلى شهر سبتمبر، واستمرت معه المناوشات الحربية بين الطرفين. واضطرت السفن الإسلامية إلى العودة إلى جزيرة أرواد لقضاء الشتاء بها، ثم تعاود الحصار بعد تحسن الأحوال الجوية. وبحلول الربيع عادت السفن الإسلامية محملة بالعتاد والعدد لتلقي الحصار برا وبحرا حول القسطنطينية مرة ثانية

على هذا النحو، استمرت القوات الإسلامية في إلقاء الحصار حول أسوار القسطنطينية طوال فصلي الربيع والصيف، وترفعه في فصلي الخريف والشتاء، وذلك لمدة سبعة أعوام، إلا أنه بعد هذه السنوات السبع فشلت حملة معاوية بن أبي سفيان الثانية على القسطنطينية وعادت بقايا السفن الإسلامية تحمل جنودها إلى قواعدها ببلاد الشام دون إحراز نصر عسكري يتلاءم مع سنوات سبع من الحصار والقتال مع البيزنطيين، على الرغم من كثرة الجند والعتاد وتشجيع جيد وقيادة لأكفاء أمثال عبد الرحمن بن خالد، وسفيان بن عوف، ويزيد بن معاوية وغيرهم. ويعزى فشل الحملة الإسلامية الثانية على القسطنطينية لأسباب الوجيهة التي لا حيلة للمسلمين فيها، على الرغم من ملائمتهم في ... ويمكن أن نجمل هذه الأسباب فيما يلي

أولا: سوء الأحوال الجوية والمناخ القارس البرودة، الذي لم يعتده المسلمون من قبل، حيث اضطروا إلى النجوء إلى جزيرة كيزيكوس، وبناء أكواخ خشبية للاحتماء بها من برد ... من سوء الأحوال الجوية أنهم اضطروا إلى أكل لحوم حيواناتهم على حد ذكر بعض ...

ثانيا: حصانة مدينة القسطنطينية: حيث كانت مدينة القسطنطينية محصنة بعدد من الأسوار من الصعب اقتحامها، دون توافر آلات وأدوات ثقيلة للحصار ونقب الأسوار، فمن المعروف أن معظم مدن العصور الوسطى كان يتم تحصينها، طبقا لمدى أهمية تلك المدينة وحاجة ... نفسه أيضا. وفي حالة مدينة كالقسطنطينية، التي كانت درة مدن البحر المتوسط، وراعية المسيحية



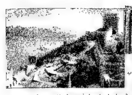
في [illegible] في الفكر الأوروبي الوسيط، كما كانت أن [illegible] عن [illegible] يصيب شر هجمات الطامعين فيها من [illegible] فقد كانت المدينة محصنة بثلاثة أسوار مرة [illegible] وهي الأسوار المعروفة باسم أسوار ثيودوسيوس، [illegible] هذه الأسوار مجموعة كبيرة من الأبراج، ذات الطوابق [illegible] وتحتها سلم [illegible] حتى لصعود الجند إلى سطح الطوابق.

[illegible] وهو الأدنى في الارتفاع، كان يوجد خندق مائي، يصعب اجتيازه. وتتخلل هذه الأسوار مجموعة من البوابات لمرور السكان والجنود والجيوش الخارجة للقتال، كان من أشهرها تلك البوابة المعروفة باسم "باب الذهب". وعلى بعد خمسة كيلومترات من هذه الأسوار كان يقع سور أنستاسيوس الطويل، ليكون خط دفاع وعامل إعاقة أمامي [illegible] مغيرة على القسطنطينية من الجانب الأوروبي.

أما من ناحية البحر فقد كانت هناك سلسلة متصلة من الأسوار التي تحرج أو تعيق بصورة رأسية حادة من البحر بطول شواطئ المدينة على البوسفور، وكانت هذه الأسوار الشاهقة التي يصعب تسلقها أو حرقها، من الخرسانة المقاوم لمياه البحر، وكانت تتخللها الأبراج متعددة الطوابق أيضا، وتمتد من الجنوب حتى شمال المدينة، حيث يقع القصر الإمبراطوري المعروف باسم "قصر بلاشيرن". وحتى يُحكِم البيزنطيون تحصينات المدينة، وضعوا سلسلة حديدية قوية تمتد من [illegible] الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى إلى الجهة المقابلة لها على الجانب الأوروبي، أو الجانب الشرقي لشبه جزيرة [illegible]، وبهذا تسد هذه السلسلة فم خليج القرن الذهبي أمام سفن الأعداء، التي تسعى إلى دخول الدردنيل لمحاصرة المدينة. وهكذا، لم يكن من السهولة بمكان على المسلمين اختراق كل هذه التحصينات، التي احتفظت لزمان حصانتها ومنعتها لمدى عصور [illegible]

ثالثًا: أما [illegible] الذي أفضى إلى فشل الحملة الإسلامية الثانية على القسطنطينية [illegible] "النار الإغريقية"، فقد هاجمت بعض الأسطول البيزنطي قطع الأسطول الإسلامي [illegible] عدده مائة من القطع، عن أساليب في مقاومة السفن [illegible] [illegible] Sipaous، وهذا اللهب لا ينطفئ بالماء بل يظل مشتعلا بالسفن حتى يؤتي [illegible] وهو الأمر الذي أرهق المسلمين آنذاك وقضى على الكثير من سفنهم، بل [illegible] [illegible] كانوا يصنعون كرات من الأحجار أو الحديد تحتوي على [illegible] [illegible] يتم إشعالها وإلقاؤها من أعلى الأسوار على الجنود المسلمين الذين [illegible]

[illegible]



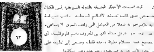
جانب من مدينة القسطنطينية، ويظهر فيه الأسوار البحرية

ويشير مؤرخ البيزنطي ثيوفانيس إلى أن هذه النار كانت من ابتكار مهندس يدعى كالينيكوس، من مواليد بعلبك ببلاد الشام، هاجر إلى أراضي الدولة البيزنطية هربا من المسلمين، وحيث قدم المكاوة للإمبراطور البيزنطي، الذي اعتبره سرا من أسرار الدولة التي ينبغي الحفاظ عليها وعدم البوح بطبيعتها أو ماهيتها أو عناصرها إلى الأعداء.

وبعد أخير يمكن القول أن حركة الصائفات الثانية في الدروب، سواء كانت شمالية مستمرة بلا ... أو التيارات القادمة المعاكسة، ربما كانت عاملا أعاق حركة سفن ملاحية، لأسباب عند هبوب الأرياح عليها، على أية حال، استطاع البيزنطيون وإمبراطورهم قسطنطين حريج ٦٦٨–٦٨٥م الرود عن مدينتهم، ورد المسلمين بعيدا عن أسوار مدينتهم دون إخراجهم بنصر يذكر يتلاءم مع سنوات السبع التي قضتها الحملة الإسلامية حول القسطنطينية، بل عقد المسلمون صلح مع البيزنطيين بشروط كانت جميعها في صالح البيزنطيين.

على أية حال، يعتبر موت الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine VI عام ٦٣هـ ٦٨٥م علامة فاصلة بين قرنين تاريخيين متميزين في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، حيث تعتبر الفترة الأولى فترة تحدي للأصعدة إذا جاز لنا القول، والتي ... لإمبراطور هرقل وتنتهي بعهد قسطنطين الرابع ٤٨–٦٦هـ / ٦٦٨–٦٨٥م مرورا بقسطانز الثاني Constans I ٢٠ ٤٨هـ ٦٤١–٦٦٨م

في الفترة الأولى ... الإمبراطورية بصعوبات شديدة لا سيما على الصعيد ... من ... بالإضافة إلى التغلغل السلافي في البلقان ... وقد نجح ... هذه الفترة ... الإمبراطورية لبلاد الشام ومصر وفلسطين وشمال إفريقيا، والاستيلاء ... التهديد الخارجي إلى قيام المسلمين بتهديد القسطنطينية ذاتها مرتين ...



وقد أصبحت الأخطار المحدقة بالدولة البيزنطية إلى الكيان الاجتماعي فيها كانت نتيجة لاتساع البيزنطية وكانت السياسة الدينية للإمبراطور به عاملا من العوامل التي زادت التمزق الاجتماعي، وهو عامل مذهب الطبيعة المعروف باسم المونوثيلية، أي أن للمسيح طبيعة واحدة فقط، وسعى إلى تطبيقه على رعايا الإمبراطورية البيزنطية، رغم عدم رضى سكانها

فترة حكمه الأولى، أما الفترة الثانية فتبدأ باعتلاء الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian II عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٦٦-٧٦هـ/ ٦٨٥-٦٩٥م، ثم عزله وعودته للعرش ثانية عام ٨٦-٩٣هـ/ ٧٠٥-٧١١م، وهذه الفترة الثانية قضاها في الانتقام ممن خرجوا عن العرش الإمبراطوري وتولوا الحكم بدلا منه، ولم يكن لها من الإنجازات سواء كانت الداخلية أو الخارجية ما يجعلها تسير على نفس نهج أجداده من الأسرة الهرقلية

وإذا كانت الإمبراطورية البيزنطية قد تمتعت بمركز قوي في الشرق فإنه يرجع ذلك إلى جهود قسطنطين الرابع، في وقت بدت فيه الخلافة الأموية وقد أعاقتها المشكلات الداخلية التي ظهرت على مسرح الأحداث بعد وفاة معاوية وانتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني ثم قيام فتنة ابن الزبير وقد حاول عبد الملك ابن مروان لدى توليه الخلافة عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م، أن يجدد معاهدة السلام التي سبق لمعاوية أن عقدها مع قسطنطين الرابع وبالفعل استجاب إلى عهده بتجديد المعاهدة، وبدا للوهلة الأولى أن الاتفاقية الجديدة جاءت بفوائد مباشرة أكثر من سابقتها، ولم التوصل إلى تسوية بالنسبة للولايات المتنازع عليها وهي قبرص وأرمينيا والجرانية على



أحد أبواب مسجد عبد الملك بن مروان



تمثل ... حسب دخول هذه الأقسام بين الظاهر ... عهد ...
الامبراطور جستنيان واقع في مقابل هذا على نقل جماعات ...
(الجراجمة) من شمال بلاد الشام والتخلص من خطر ... بعد ...
داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية ويشير المؤرخون ... إمبراطور
جستنيان الثاني، عندما نقل هؤلاء المردة، الذي كانوا يشكلون سور
محاط على حد قول البلاذري يصد غارات المسلمين عن بيزنطة

وسرعان ما أدرك الامبراطور جستنيان الثاني خطأ تشتيته المردة، واحتاج الدولة بهم حين تجددت ... حسب البيزنطي بآسيا الصغرى على أراضي الحدود الاسلامية ... أدرك ضرورة سد الثغرة التي أحدثها نقل المردة. وعول على وضع عناصر جديدة ذات بأس وشدة في الأماكن المعرضة للخطر. خدمته على نحو ما عمل الجراجمة من قبل واتجهت أنظار جستنيان الثاني نحو العناصر السلافية القاطنة في البلقان وكانت الدولة البيزنطية تدفع لهم ضريبة سنوية مقابل حفاظهم بالهدوء والسكينة في الأراضي البيزنطية التي استقروا بها. ورأى جستنيان الفرصة موائية لتخلص من ... المالية والهجوم على هذه العناصر وأخذ عددا كبيرا منهم أسرى لإحلالهم محل المردة والجيع في مهاجمة العناصر السلافية المقيمة بالقرب من سالونيكا وأسر عددا كبير حملهم معه إلى آسيا الصغرى. مكونا منهم فرقة كبيرى بلغت ... ٣ جندي، وجعل مقرها الرئيسي في منطقة مطلة على الدردنيل، والتي عرفت إذ ذاك باسم الأوبسيق. وكانت هذه المنطقة محط رحال الغزوات الإسلامية حيث عملت على إقامة نقط ارتكاز لها هناك قبل عبورها ... حصار قسطنطينية. وزاد جستنيان بعد ذلك شد أزر جماعات السلاف بنقل عدد كبير من أهالي جزيرة قبرص إلى ثيم الأوبسيق أيضا. وكانت خطوته تحمل في طياتها الكثير من العسف والعنت. ... وجهت ... التي نقل أهالي قبرص عاصفة عاتية أغرقت الكثيرين منهم. ولم يتح لا بعين عاد أدراجه إلى جزيرة قبرص

وسرعان ما ... الخلاف بين عبد الملك بن مروان وجستنيان الثاني حول مسألة القراطيس ... التي كانت تستورده الإمبراطورية البيزنطية من الدولة الإسلامية، وتدفع مقابل ذلك ... ضربه، وهي العملة المستخدمة في التعاملات التجارية بين المسلمين. وكانت مصر هي التي تصدر القراطيس للدولة البيزنطية منذ تبعيتها لها قبل الفتح الإسلامي. وقد جرت عادة أقباط مصر على كتابة اسم المسيح وعبارة التثليث في رؤوس الطوامير أو قطع الورق الكبيرة. ولكن عبد الملك بن مروان رأى أن هذه الصيغة لا تتفق ومظهر الدولة الإسلامية الخليفة، فأمر أن ... بهذه الصيغة ... قل هو الله أحد".



اشتهرت مصر بصناعة الورق- ووثيقة أهناسيا أول وثيقة عربية

ووصلت هذه القراطيس الجديدة إلى الإمبراطورية البيزنطية وأحدثت ضجة كبرى في البلاط البيزنطي، إذ غضب الإمبراطور جستنيان الثاني واستنكر قيام الدولة الإسلامية بهذا العمل الجديد فكتب إلى الخليفة عبد الملك "إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه، وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه" وقد أغضب هذا الخطاب الخليفة عبد الملك كثيرا، وخشي اضطراب أحوال العملة بسبب تهديد الإمبراطور البيزنطي، وما قد تحدثه من أثر سيئ في نفوس عامة المسلمين، إذ أن الدنانير البيزنطية كانت العملة الرسمية المتداولة في الأسواق الإسلامية.

وأشار خالد بن يزيد على الخليفة عبد الملك بالتمسك بالقراطيس الجديدة دون أن يخشى تهديد البيزنطيين، فقال له "يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها، واضرب للناس سككا، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير" وجاء هذا الحل مفهوما بحقيقة، ورأى أنه يصبح خطوة أساسية تصبح الدولة الإسلامية بصبغة عربية خالصة، وتحقق وحدة اقتصادية عن طريق عملة خاصة بها.

وأمر عبد الملك على ضرب دنانير إسلامية جديدة عليها آيات من القرآن، عرفت باسم الدنانير الدمشقية. وهكذا خلص عبد الملك الدولة الإسلامية من التبعية الاقتصادية من خلال العملة التي كانت متداولة فيها منذ زمن بعيد، إذ كانت دنانير بيزنطية ترد إلى بلاد العرب عند حجيبية. وتعتبر العملة الأساسية في المعاملات التجارية الكبرى، على حين يستخدم الدرهم الفضي في المعاملات المحلية. وظل أمر العملة الأجنبية معلقا في الشئون التجارية الإسلامية حتى نشب الخلاف بين عبد الملك وجستنيان الثاني، حيث ضرب عملته الجديدة سنة ٧٤-٧٥ هـ (٦٩٣-٦٩٤م) ليتخلص من تهديد البيزنطيين.







دينار بيزنطي نقش عليه: الإمبراطور جستنيان الثاني

وفي عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م أعلن جستنيان الثاني الحرب على المسلمين، بسبب وصول جزية سنوية ... كان يرسلها عبد الملك بن مروان إليه نقدا نظير إيقاف الردة، في هيئة مختلفة عما كانت تسك عليه، حيث ضرب الخليفة الأموي آنذاك دينارا إسلاميا بدلا من الدينار البيزنطي، ونقش عليه عبارة لا إله إلا الله بدلا من صور الأباطرة البيزنطيين التي كانت تسك على أحد وجهي العملة مع بعض الرموز الدينية المسيحية. وأيا كانت الأسباب، سواء الدينية أو الاقتصادية، التي دفعت جستنيان الثاني إلى الغضب وإعلان الحرب على المسلمين، فالثابت أن هذه ... حديثة العهد، الأمويون كانت الشارة الحقيقية للتخلص من سيطرة الدينار البيزنطي ... المعاملات التجارية كذلك، وإحلال عملة إسلامية جديدة منافسة له. وقد صدق ... خليفة عبد الملك بن مروان من مشاكله الداخلية فعمل على تلقين الإمبراطور درسا ... حرب وقتال.

وقد التقى الطرفان عند مدينة سبستوبوليس، وانتهت بانتصار المسلمين ... وفر جستنيان الثاني مع بقايا قواته نحو سيبستوبوليس ... وتجدر الإشارة إلى أن ما يقرب من عشرين ... ألفا من السلاف المحاربين في جيش الإمبراطور البيزنطي تخلوا عنه وقت القتال وانضموا إلى جانب المسلمين ...

أول دينار أموي نقش عليه (١) لا إله إلا الله لا شريك له (٢) الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد أمير المؤمنين

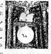


يسمون إلى رعماء أولئك السلاف. إلا أن السبب الرئيسي الذي حدا بالسلاف إلى عمل ذلك هو سوء معاملة جستنيان الثاني لهم وتهجيرهم من شبه جزيرة البلقان بالقوة عندما غزا بلادهم في فترة سابقة على حربه مع المسلمين، كما سبق القول، بل قام بتجنيد فرقة من ... منهم ... ولم يتورع بعضهم على الانتقام البيزنطة ... شعوبهم، و... عدم تمردهم أو هجماتهم على القسطنطينية

... المسلمون كثيرا من ولاء السلاف لهم، إذ كانوا على علم بدروب ... والمسالك التي تصل بين ... فقاموا بوظيفة الأدلاء للجيوش الإسلامية، يهدونها إلى أسهل الطرق وأيسرها للاستيلاء على المعاقل الهامة بهذه البلاد ... تحت الجيوش الأموية انتصاراتها واعادتها على مدى آسيا الصغرى دون أن تلقى جهدا كبيرا

يبدو أن هذا التوتر في العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين، الذي مس عصب العلاقات بين الدولتين، دفع المسلمين إلى استكمال مسيرة جهاد ضد البيزنطيين فكان الوليد بن عبد الملك خير خلف لأبيه، إذ تابع الفتوحات التي بدأها أبوه في آسيا الصغرى، وجعل هدف حركاته الحربية الاستيلاء على معاقل الهامة الواقعة في الطريق الرئيسي المؤدي إلى القسطنطينية ... لتنفيذ خطته عن طريق حصار مدينة طوانة مفتاح الطريق الهام بين الشام والثغور والذي تسلكه الجيوش الإسلامية في طريقها لمهاجمة القسطنطينية، وحاصر المسلمون هذه المدينة عامين متتاليين،

مسجد الأموي بدمشق الذي أنشأه الخليفة الوليد بن عبد الملك



لشدة تحصيناتها واستماتة البيزنطيين في الدفاع عنها ... الإمبراطور جستنيان الثاني فانقذ من محنة الدولة ... من الخراب من أجل البيزنطيين، ومعهم عدد من أهل ... المدينة وتخفيف حدة الهجوم على حامياتها، ولكن المسلمين ... على هذه الإمدادات، وتابعوا حصارهم للمدينة. ولم تجد الحامية البيزنطية مفرا من التسليم بعد أن أنهك الجوع جندها، وصح ... المدينة من الفناء، ودخلت القوات الإسلامية مدينة ... سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م وأصبحوا يتحكمون في أهم معاقل إقليم قبدوقيا بآسيا الصغرى.

وتتابع ... إغاراتهم على مدن آسيا الصغرى، واستمرت سنوات ... ٧٠م ٩٢هـ/ ٧١م ٩٣هـ بما لازم الجيوش الإسلامية من توفيق في نشر الذعر والاضطراب بين صفوف جنود البيزنطيين. وفي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م وصلت الجيوش الإسلامية إلى ... واستولت على بعض معاقل مهمة بالقرب منه. وكانت هذه العمليات الحربية الإسلامية حملات استطلاعية ومقدمة لزحف مباشر على العاصمة البيزنطية، وقد ساهم الأسطول الإسلامي في تلك التحركات الحربية ... ومن ثم عمل البيزنطيون على حمل المسلمين ودفعا على إيقاف زحفهم صوب القسطنطينية ... أسر الأسطول البيزنطي في سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م خالد بن كيسان أمير البحر على ... الإسلامية، ... الإمبراطور البيزنطي إلى إعادته للخليفة الوليد دليلا على رغبته في ... العلاقات الودية مع المسلمين

... خليفة الوليد بعد نجاح جيوشه في السيطرة على معاقل آسيا الصغرى ... إلى ... حملة مهاجمة القسطنطينية نفسها ... وكان الإمبراطور البيزنطي إذ ذاك هو انستاسيوس ... لدى ... الفوضى التي سادت أقاليم آسيا الصغرى الحربية ... الإمبراطور يقوي جبهة آسيا الصغرى لمواجهة حملات الإسلامية المتكررة ... وعين على ثيم الأناضول أي الإقليم الحربي العسكري بشرقي آسيا الصغرى، قائدا ولعله سيصبح له دور هام في الأحداث التالية

... هذا القائد البيزنطي الجديد يدعى ليو، وهو من مواطني إقليم ... قضى ... طفولته في مدينة مرعش (جرمانيكا) على الحدود الإسلامية البيزنطية ... عمل في خدمة الإمبراطور جستنيان الثاني الذي أوفده إلى القبائل الضاربة على حدود الإمبراطورية في الشمال ... معرفته واشتهار ... وعاد مكللا بالنجاح من مهمته على عهد الإمبراطور انستاسيوس الثاني ... كان يبحث عن رجال جلد يعهد إليهم بإدارة الأقاليم العسكرية في ... الصغرى، لا ... بعد أن ... حملات المسلمين عليها إلى نشاط منظم هدفه الاستيلاء على القسطنطينية ... الإمبراطور انستاسيوس الثاني ليو ليدير إقليم الأناضول بآسيا الصغرى، ... هذه ... لا ... للمسلمين خلال أحداث حصارهم الثالث لمدينة القسطنطينية



في ... حتى كان الامبراطور البيزنطي يرفع عنه شخصه ... كان الخليفة الوليد بن عبد الملك يعد ... ضخمة ... معركة الحصار الأموي الثالث للقسطنطينية ... وعهد إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك بإعداد حملات الإسلامية التي استولت على معظم المعاقل البيزنطية بآسيا الصغرى ومواقع في القسطنطينية.

كما ساهم ... بن عبد الملك على مساعدة أخيه الخليفة الوليد في تجهيز الحملة الإسلامية المتجهة إلى حصار القسطنطينية. وكانت الاستعدادات الإسلامية واسعة النطاق بحيث ترامت أنباء هذه الحملة إلى مسامع البيزنطية في العاصمة سنة ٧١٤م فأوفد الامبراطور انستاسيوس الثاني سفارة إلى دمشق تتباحث مع السلطات الإسلامية في شأن عقد هدنة بين الدولتين، ولكنه زود سفراءه البيزنطية بتعليمات سرية تقضي بالتجسس على مدى استعداد المسلمين حربياً، والتحقق من صدق عزمهم على مهاجمة القسطنطينية. وكان رئيس هذه السفارة رجلاً حصيفاً يسمى دانيال حاكم مدينة سينوب الواقعة على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود، ومن الشخصيات الكبرى التي تعتمد الدولة البيزنطية على صدق تقاريره.

ولما وصلت السفارة البيزنطية إلى دمشق رصدت نشاط الخليفة الأموي في إعداد الجيوش وتوجيهها ضد القسطنطينية. فعادت السفارة تحمل إلى الامبراطور البيزنطي صدق ما سمعه من أنباء، وتنصح بضرورة اتخاذ الاحتياطات للدفاع عن العاصمة. وعند انستاسيوس تعليمات السفارة، فأعلن في القسطنطينية أخبار الحملة الإسلامية المنتظرة، وأمر كل فرد أن يدخر لنفسه مؤونة تكفيه ثلاث سنوات، وأن يخرج من المدينة كل معوز وغير قادر على تدبير مؤونته. ثم ملأ صوامع الامبراطورية بكميات هائلة من القمح وغيره من الاحتياجات التي يتطلبها المدافعون عن المدينة. واهتم كذلك بتجديد أسوار المدينة ولا سيما الجهات المطلة منها على المياه، حيث كان شدائد قد دب فيها، ووضع على الأسوار البرية كل الآلات الحربية من المنجنيقات وغيرها من وسائل الدفاع.

وفي تلك الفترة من الاستعدادات الإسلامية البيزنطية توفي الخليفة الوليد، ولكن مشروع الإسلامي لحصار القسطنطينية ظل قائماً دون أي تغيير. إذ ساد أخوه سليمان بن عبد الملك بعده من عزم ... الدولة الإسلامية، فقد بلغ الاهتمام المتحمس في أرجاء الدولة الإسلامية شأناً كبيراً ... في مجهودات الخليفة سليمان. وتكاتفت مصر والشام وشمال إفريقيا على تزويد الحملة الإسلامية بكل ما تحتاج إليه من عدة وعتاد. فأبحر أسطول من مصر إلى شواطئ الشام لجمع الخشب من سواحل لبنان ليصنع منها سفناً جديدة في دور الصناعة بمصر، لتعزيز الأسطول الإسلامي في حملة حصار القسطنطينية.

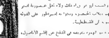
وعلم الإمبراطور أنستاسيوس أخبار نشاط سليمان و[illegible] استعدادهم الحربي على عهد الخليفة سليمان، ولم تعد هذه الاستعدادات، لاسيما البحرية منها. فعمد إلى [illegible] الأسطول المصري وتخريب الأخشاب قبل وصولها إلى مصر، وعهد إلى جيش إقليم الأوبسيق بتنفيذ هذه المهمة، ولكن باءت مجهودات الإمبراطور أنستاسيوس الثاني بالفشل لعصيان الفرق الإمبراطورية لأوامره وكراهيتها له، إذ شقت عليه عصا الطاعة حين [illegible] وهي في طريقها لمهاجمة سواحل الشام. وقتلت القائد الذي عينه الإمبراطور عليها [illegible] البحرية، وعادت إلى القسطنطينية وعزلت الإمبراطور وعينت على العرش إمبراطوراً آخر.

رأى الخليفة سليمان بن عبد الملك ملاءمة أحوال الإمبراطورية البيزنطية لحصار القسطنطينية، ولا سيما بعد أن سرى الفساد في جميع مرافقها وإدارتها. فأعد في دابق [illegible] شمال [illegible] معسكراً كبيراً ليكون مقراً لإدارة دفة العمليات الحربية ضد القسطنطينية وقضى الخليفة معظم وقته في هذا المعسكر يشرف بنفسه على سير العمل فيه، وأعطى الله عهداً أن لا ينصرف حتى يدخل جيش [illegible] وجهه إلى الروم القسطنطينية".

وفي سنة ٩٨هـ/٧١٦م تحركت الجيوش الإسلامية نحو القسطنطينية تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك أخي الخليفة نفسه، وأمر سليمان أخاه "أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره" فبعث مسلمة أحد قادته ويدعى سفيان على رأس جيش يستطلع له الطريق عبر آسيا الصغرى، وتوغل سفيان في إقليم الأناضول حتى بلغ مدينة عمورية، عاصمة الإقليم، التي كانت منذ أيام معاوية بن أبي سفيان مقصد الجيوش الإسلامية الزاحفة على القسطنطينية. وألقى سفيان الحصار على هذه المدينة، وعلم [illegible] حاكمها يدعى ليو، [illegible] عرش الإمبراطور [illegible]، [illegible] الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث الذي تولى الحكم بالقسطنطينية.

وبدأ [illegible] يدبر خطة [illegible] كتب ليو إلى [illegible] و[illegible] في فتح القسطنطينية. فكتب إلى ليو خطاباً جاء فيه "نحن نعلم أن [illegible] إليك". فخرج [illegible] على شروط الصلح، "ثم أمر القوات الإسلامية المرابطة أمام أسوار عمورية بأن تهتف "يحيا الإمبراطور ليو" وأجاب [illegible] "لا [illegible] يحاصر المسلمون مدينة عمورية إذا كانوا يريدون عقد صلح معه؟ [illegible] الحصار سيرفع عن المدينة عندما تبدأ المحادثات الرسمية بينهما".

[illegible] المسلمين سيواصلون الزحف على القسطنطينية، وأنه [illegible] في مفاوضات مع المسلمين أعلن [illegible] انضمامه إليهم، وطلب منهم رفع الحصار



في [illegible] ثم صحب الجيوش الإسلامية بعد حج مفاوضاته قاصداً [illegible] وحسب ليو من وراء ذلك ولاء أهل عمورية الذين [illegible] بلاد الخصوم وبدوا به إمبراطور على الدولة ليرسله [illegible] إلى القسطنطينية.

ولكن [illegible] في الدفاع عن إقليم الأناضول، [illegible] سبل الطمأنينة والراحة لهم عبر [illegible] الصغرى. ولكن هذا الاتهام عاملاً حفز ليو موضوع ثقة المسلمين، [illegible] القسطنطينية [illegible] سبل الاستيلاء عليها، بعد أن رفعوا الحصار عن [illegible] عمورية، [illegible] إقليم الأناضول. وبدأ ليو حينئذ [illegible] من الحصول على [illegible] وعرش الإمبراطورية. فأخذ يعمل على إضعاف جبهة الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث المقيم بالقسطنطينية. ولكن هذا الإمبراطور يعتمد في قوته على الجند المقيم في إقليم الأرمينيين ونصب عليها [illegible] ليحقق [illegible] أسباب الطمأنينة والسلام.

وبعد [illegible] من الإمبراطور ليو الإيسوري واستعد لصد هجمة عند مدينة [illegible] [illegible] ولكن ليو تمكن من هزيمة ابن الإمبراطور، وعبر البسفور إلى القسطنطينية، واستطاع أن يقتحم مدينة من باب الذهب ودخلها ليوطد نفوذه بها، وسرعان ما كشف عن نواياه الحقيقية



قلعة بيزنطية من القرون الوسطى على خليج [illegible]



عشف احيل العاصمة، واتخذ منها مقر الحكم ... الأمبراطور، واستعمل النار اليونانية الإغريقية ... القسطنطينية لتحمي الأسوار حولها، واعترض ... حول، وفي خشن المسلمين عن العدة والعتاد ... محصنة حازمة لمواجهة الأزمة التي توشك أن ... تهدد خطر مماع دعوته العدو الأسير ... منصب إبنه وتحدث به إمبراطورية، وكذلك ... ما ... برقية

وفي ٢٥ مارس سنة ٧١٧م/٩٩هـ عقد اجتماع من كبار رجال العاصمة، فقرر عزل ثيودوسيوس عن العرش وتنصيب ليو امبراطوراً تحت اسم ليو الثالث ... حتى ... كانت تصبو إليه نفسه من آمال، حيث وصل إلى عرش الإمبراطورية، ولكن لم يستمتع بهذا النصر طويلاً، إذ كانت الجيوش الإسلامية تقترب حثيثاً من القسطنطينية، وكان ليو يعلم الكثير عن مطامع المسلمين وأغراضهم في هذه الحملة الكبرى، ولا سيما أنه صاحب جيوشهم فترة من الزمن، فأسرع في تحصين العاصمة وتقويتها لمواجهة الخطر الاسلامي الوشيك.

كان أمام ليو فترة خمسة أشهر لإتمام استعداداته الحربية، إذ قضى المسلمون هذه الفترة في تدعيم خطوط مواصلاتهم وتأمين مؤخرتهم، فاستولى مسلمة بجيشه البالغ ... ٨٠ جندي على مدينة برجمة، ثم عبر الدردنيل عند ابيدوس وعسكر أمام أسوار القسطنطينية في ١٥ أغسطس سنة ٧١٧م/٩٩هـ، وكان مسلمة يدرك أهمية تدبير مؤونة جيوشه، فأمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية* واحتفظ بقدر كبير آخر من المؤن لتزويد جنده بها أثناء الحصار

وبعد ستة عشر يوما من وصول مسلمة إلى أسوار القسطنطينية، دخل مياه البسفور في أول سبتمبر أسطول إسلامي كبير، مكون من ١٨٠٠ سفينة كبيرة هذا عدا سفن صغيرة أخرى كثيرة، واتجه مسلمة يطلب قوته لإحكام حلقة الحصار على القسطنطينية، فاصطفت قوات مسلمة ... تحاصر أسوارها ... من ناحية البر، على حين عهد سليمان أمير البحر ... سفنه ... حتى يمكن أن تحصل منها العاصمة على الإمداد والمؤن، ثم حاصر ... مدينة ... بحرية ... قصد الأسطول الإسلامي ... البسفور الجنوبي لقطع الاتصال بين المدينة والبحر ... وجزيرة أيضا ثم انتهز أمير البحر فرصة هبوب رياح مواتية وبعث شطرا من أسطوله لاحتلال مدخل البسفور الشمالي لمنع وصول أي مدد يأتي للمدينة من البحر الأسود، ولا سيما أن ... منه ... تحمل القمح التي تزود القسطنطينية بالغلال



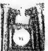
السفن الإسلامية ... بسبب الرياح الناجمة عن ... التي ... في البحر الأسود عبر ... إلى ... الإغريقية ... فأحرقت ... سفن ... ملاحة في هذه المياه الإقليمية للقسطنطينية ... من ... هذه ... وهم المزودة بالنار الإغريقية ... من ... سفن الإسلامية.

وحاصر مسلمة القسطنطينية حصارا قاسيا شديدا برغم ... جهة ... على ... مفتوحة ... الحصار مستمر حتى جاء الشتاء، وهو قارس جدا، ويعتبر من ... الطبيعية الأخرى التي تعتمد عليها القسطنطينية في الدفاع عن نفسها وإطالة مدة مقاومتها، غير أن مسلمة ... بهذه ... الطبيعة وجعل بيوتا من خشب، شتا فيها وزرع الناس ... القسطنطينية ... لأهلها، ومعه وجوه أهل الشام.

وبمقدم الربيع وصلت نجدات بحرية وبرية للقائد مسلمة بن عبد الملك، فجاء أسطول من مصر بقيادة أمير بحر يدعى سفيان، وآخر من شمال إفريقيا تحت إمرة شخص يدعى يزيد. وتعاون ... مع مسلمة؛ لأن أمير البحر السابق سليمان توفي من قبل أثناء الشتاء. وكذلك وصلت نجدات برية بقيادة رجل يدعى مرداس، عبرت آسيا الصغرى عن طريق البوابات ... وعسكرت في ... و... واتخذت القوات الأخيرة تهاجم من شواطئ آسيا الصغرى العربية سفن بيزنطية التي تحاول الخروج، طلبا للصيد أو الذهاب إلى البحر الأسود لجلب الغلال من شواطئه.

ولقد استخدم المسلمون النفط آنذاك، واستعانوا بنوع أشبه بالمدفعية على حصار القسطنطينية. ورأى ... من ضروب الشجاعة ما شهد لهم بعلو روحهم المعنوية وحبهم للاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام. وظهر من الجند الإسلامي رجل يدعى عبد الله البطال، وكان كبير حرس مسلمة بن عبد الملك، أبلى في هذا الحصار بلاء حسنا أكسبه لقب زعيم الأبطال. واستشهد هذا ... في معركة أكروينون فيما بعد (١٢٣هـ/ ٧٤٠م) بعد انتهاء الحصار الإسلامي، حيث كان ... جهود ... وعرف في القصص التي تناولت على شجاعته باسم السيد غازي، و... ... فيما بعد بطلا من أبطال ... وسرد القصص عن البطال أيضا أن البيزنطيين ... صوره على بعض كنائسهم لتذكير الناس بما له من بأس وسطوة بين جند المسلمين.

وفي تلك الفترة التي اشتد فيها الحصار الإسلامي لمدينة القسطنطينية، توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك، وولي بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز. ويرد صدى هذا الخبر في ... الحملة الإسلامية المحاصرة للعاصمة البيزنطية. حيث ... عمر بن عبد العزيز إلى ... الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية، حفاظا على أرواح المسلمين. فأرسل في ١٥ ... ...



هـ ۷۱۸م، بعد اثنى عشر شهراً من محاصرتها [illegible] عبد الملك بعودة جيوشه وأساطيله إلى بلاد الشام [illegible] مسلمة إلى أمر الخليفة وعاد بأساطيله وقواته الى بلاد الشام دون [illegible] الهدف الرئيسي من الحملة وهو فتح القسطنطينية.

وإذا كان الأمويون قد تركوا جهدهم الى مسألة [illegible] لغيرهم من المسلمين، فإن جهودهم وحملاتهم [illegible] تصنع [illegible] هذه الحملات في إقليم شمال إفريقيا، الذى اتجهت إليه جيوشهم [illegible] وضمه إلى قبة الإسلام، فقد صرفت أحداث الحصار الأموى للقسطنطينية أنظار البيزنطيين عن التعرض للدفع المسلمين عن شمال إفريقيا، واعتبروا حماية هذا الإقليم في مرتبة ثانية بالقياس إلى الدفاع عن عاصمتهم. وهكذا جنى الأمويون ثمار جهودهم ضد القسطنطينية، حيث جعلوا من شمال إفريقيا ركنا هاما من أركان الدولة الإسلامية القوية الأوتاد.

وتجدر الإشارة إلى أن عمر بن عبد العزيز، برغم الأسباب التى ساقها المؤرخون [illegible] عمر بن عبد العزيز لعودة الحملة الإسلامية الثالثة التى خرجت لحصار القسطنطينية [illegible] بلاد الشام، قد أعطى الفرصة بقراره هذا للبيزنطيين ليعيدوا تنظيم صفوفهم ثانية، بعد أن شكل المسلمون عليهم ضغطا عسكريا من خلال محاولاتهم المستمرة لفتح القسطنطينية. ويكفى القول أن الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى قد اتجه بدفعة الإصلاح إلى شتى أرجاء دولته، وتمثلت إصلاحاته فى التطورات الإدارية التى أدخلها على الثيمات، وهى التكيبات والقوانين العسكرية والاقتصادية التى أصدرها.

لقد كان الإمبراطور ليو الثالث يدرك جيدا، بحكم التجربة، خطورة ترك أقاليم شاسعة في أيدى حكام وقادة [illegible] الشكيمة، فعمل على إنشاء إقليم عسكرى جديد سمى [illegible] قسم [illegible] اقتطع أجزاء من إقليم الأناضول الفسيح، وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى حدود [illegible] كذلك أنشأ قسما ثانيا في آسيا الصغرى عرف باسم [illegible] من إقليم أوبسيق، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى [illegible] يسمى البقلار، ويرابط في تلك المناطق [illegible] عسكرية في آسيا الصغرى، والحد من سلطات قادة الأقاليم العظام [illegible] ثم قسم تنظيم الإقليم البحرى المسمى [illegible] قسم كيرابوت وإقليم بحر إيجة على هذا النحو [illegible] ضرورية المرابطة في مواجهة المسلمين في الفترة القادمة.

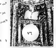


ويمكن تلخيص شخصية ليو الثالث وما أداه للإمبراطورية بما جاء في كلمات المؤرخ أوستروجورسكي التالية "لقد أسس الإمبراطور ليو الأيسوري أسرة جديدة، وأنقذ القسطنطينية، وأصلح ... كما كان أول إمبراطور بيزنطي استطاع أن يوقف تقدم الإسلام ... بخطوات مدروسة منظمة تعكس عبقرية عسكرية وكفاءة إدارية. وكان همه الخاص تقسيم الأقاليم ... لأن أعطى ... الأداة اللازمة، وأكمل حلاً في النظام العسكري ... من جديد في دفاعات بيزنطة الشرقية ... الخط

وعلى الرغم من الروح التي بثها ليو الثالث في جسد الإمبراطورية البيزنطية إلا أن سياسة دولته لم تتحول إلى السياسة الهجومية تجاه المسلمين، وفي المقابل لم تتوقف الغزوات التقليدية للمسلمين والمتمثلة في الصوائف والشواتي على أراضي الدولة البيزنطية.

وابتداء من عهد يزيد بن عبد الملك بدأت العلاقات بين المسلمين والروم تأخذ طابعاً جديداً، حيث نشط البيزنطيون في حروبهم مع المسلمين، بعد أن تغيرت أحوال الإمبراطورية

مشهد عام للقسطنطينية



البيزنطي عبد عبد الله الأنصاري وفي تلك المرحلة من عصر ... عوض المحتسب، المسلمون ... ظهرت قوة ... في ... الصراع هما قوة البحر والأرض، حيث لعبا دوراً ...

وعند الاشارة إلى أن الروم أغاروا على مصر ... عام ... ٧٣ ... ٧٢ ... في جمع من أعوانه، ثم عادوا للإغارة على مصر في عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م ... في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك قد تم الرد على هذا الهجوم بصورة سريعة، حيث ... عام ١١١هـ/ ٧٢٩م ... آسيا الصغرى، حيث استطاع أخوه مسلمة بن عبد الملك أن يستولي على قيصرية آسيا الصغرى، بينما تمكن جيش إسلامي آخر بقيادة معاوية بن هشام من الوصول إلى مدينة نيقية حيث التقى بأهلها الحصار، إلا أن القوات البيزنطية تمكنت من صد المسلمين عند نيقية وردهم إلى قواعدهم ثانية دون انتصار يذكر.

وقد استمرت حلقة الصراع الحربي بين الروم والمسلمين، حيث هاجم المسلمون عام ١٢٠هـ/ ٧٣٧م آسيا الصغرى بحملتين حربيتين من الثغور الشامية والجزرية، استطاع المسلمون من خلالها الوصول إلى برجامة، غربي آسيا الصغرى ... المد الإسلامي الحربي في بلاد الروم، ثم يقف الروم مكتوفي الأيدي فشنوا حملة بحرية على مدينة بيروت عام ١٢١هـ/ ٧٣٨م، سبوا فيها عدداً من النفوس الإسلامية وأسروا وسبوا.

وفي عام ١٢٢هـ/ ٧٣٩م شن الروم هجوماً بحرياً على الشواطئ المصرية حيث غزوا مدينة دمياط في عهد هشام بن عبد الملك بأسطول مكون من ٣٦٠ مركباً، ... ومن المرجح أن هذا الهجوم أحرز نجاحاً ... نتيجة للظروف التي كانت تمر بها مصر آنذاك، ... ثورة كبرى بالإضافة إلى هجوم ... على حدود مصر الجنوبية.

... أن المسلمين ردوا على الهجوم البيزنطي على مصر بشن حملة كبيرة في قلب آسيا الصغرى عام ١٢٢-١٢٣هـ/ ٧٣٩م - ٧٤٠م، والتقت جيوش الطرفين في واحدة من أشهر معارك ... والتي عرفت باسم معركة أكروينون، استطاع فيها الإمبراطور ... المسلمين ... أن ينزل بالمسلمين هزيمة شنعاء أجبرتهم على إخلاء ... آسيا الصغرى ... والعقبة ... ويجمع المؤرخون المحدثون على أن النصر الذي أحرزه ... في هذه المعركة كان بفضل الدعم الذي ... البيزنطيين. وقيامهم بالضغط على المسلمين في



حيث قتل في نفس الوقت الذي هاجموا فيه الروم، ويجدر الإشارة [illegible] معركة استشهد فيها بطل إسلامي سبق ذكره وهو عبد الله [illegible] مشهور وسمعة في قتال الروم، وكان مضربا للشجاعة [illegible] شعبيا محتفى به في قتال الروم، وقد وردنا ابن [illegible] فيه من قتاله الروم واستشهاده حيث يقول:

[illegible] شهدته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية، فهي مائة ألف فارس، فبعث البطريق متروج ابنته إلى البطال يخبره بذلك، فخبر [illegible] عسكره مسمين بذلك، وكان الأمير مالك بن شبيب، وقال له: النصيحة تقتضي أن نتحصن في مدينة حران فنكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية، فأبى عليه [illegible]، ودهمهم الجيش فاقتتلوا قتالا شديدا والأبطال تحوم من بين البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه حذرا عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه دون أن يدري، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوا من سرجه برماحهم فألقوه إلى الأرض، ورأى [illegible] يقتلون ويأسرون، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وسكن من كثير رؤيته قائلا: "وأصبح إليون فوقف على مكان الذي كان فيه البطال بآخر رمق، فقال له إليون: ما هذا يا أبا يحيى؟..

فقال: هكذا تقتل الأبطال"، فاستدعى إليون الأطباء ليداووه، فوجدوا جراحه قد وصلت إلى مقاتله، فقال له إليون: هل من حاجة يا أبا يحيى؟ قال: نعم، تأمر من معك من المسلمين أن يلو غسلي والصلاة علي ودفني ففعل الملك ذلك، وعلى إثر ذلك أطلق الأسارى وانطلق إليون في جيش المسلمين الذين تحصنوا بحاصرهم فبينما هم في تلك الشدة والحصار، إذ جاءهم خبر بقدوم سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية ففر إليون في جنده الخبيث هاربا وتبعه بين يديه [illegible] له، فدخل القسطنطينية وتحصن بها"

[illegible] هذه هي قصة استشهاد البطال على الرغم مما بها من بعض المبالغة وحشو تاريخي.

وبعد هذه المعركة المهمة في تاريخ العلاقات بين الدولتين خف وطأة هجمات المسلمين على [illegible] المصري، واتخذت الإمبراطورية البيزنطية زمام المبادرة الحربية، حيث [illegible] عسكريا [illegible] الدولة الإسلامية على حساب الفتن الداخلية والقلاقل، في عهد [illegible] قسطنطين الخامس Constantine V ١٢٣-١٥٩هـ/ ٧٤٠-٧٧٥م، [illegible]



جيوشه إلى أعالي الفرات، بعد أن هاجمت حصونا إسلامية عديدة كملطية ومرعش.

أما في المجال البحري، فقد وقعت معركة بحرية بين المسلمين والروم بالقرب من سواحل قبرص عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، حيث تمكن الأسطول البيزنطي مما يقرب من ألف سفينة إسلامية، وتمكن الأسطول البيزنطي بفضل استخدام النار الإغريقية أن يوقع الهزيمة بالمسلمين ويقضي على أسطولهم هذا الذي لم ينج منه سوى ثلاث قطع بحرية فقط. وقد أنهى هذا الانتصار البحري البيزنطي السيادة الإسلامية البحرية على شرقي البحر المتوسط، ولم يستطع المسلمون في مصر والشام أن يعوضوا تلك الخسارة واختفت قوة البحرية الإسلامية ما يقرب من قرن من الزمان.

على أية حال تعرضت الدولة الإسلامية آنذاك إلى مجموعة من القلاقل الداخلية التي أودت بالخلافة الأموية وأدت إلى ظهور الدعوة العباسية، ثم قيام الخلافة العباسية في نهاية المطاف.

أسوار القسطنطينية- بداخلها قصر طوب قابي الذي بناه المسلمون بعد الفتح العثماني





الفصل السادس
العباسيون والروم

كانت حدود بين المسلمين والبيزنطيين في عهد العباسيين ميدانا لنشاط حربي محدود يكاد يكون متصلا، ومن ملاحظة أن ذلك النشاط لم يكن على نمط نشاط المسلمين في العهد الأموي الذي كان هدف الأمويين الزحف والتوسع، واحتلال القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ومن ثمة فتح بلاد الروم كما تم من قبل فتح فارس. أما المسلمون العباسيون فقد غيروا هذه السياسة وحصروا نشاطهم الحربي صورة من غارات الغرض منها إظهار القوة، وإرهاب العدو، والرد على ما قد يقوم به من نشاط مماثل، وقبل أن نسير في وصف هذه الإغارات يجدر بنا أن نسأل: لماذا لم يسر العباسيون على سياسة الأمويين في الزحف والتوسع؟ وما الذي أقعدهم عن العمل على مهاجمة القسطنطينية؟

من المحتمل أن ذلك يرجع الى سببين هما:

أولهما: سواء أكانت بلاد الشام للعباسيين لأنهم كانوا لا يزالون على ولائهم للأمويين (مع ملاحظة أن أي تحرك للزحف تجاه القسطنطينية كان لابد أن تتخذ بلاد الشام قاعدة له)، فلم تكن هذه القاعدة مأمونة تجاوب مؤيدة للجيوش المعسكرة فيها وتحركه منها، بل كان الأمر سيكون صعبا.

ثانيهما: كانت الدولة الإسلامية قد اتسعت اتساعا عظيما يستدعي جهدا كبيرا مستمرا لحفظها، [illegible]



معبد قصر الأخيضر [illegible]



حدودها. ثم إن العباسيين رأوا أنهم فقدوا الأندلس، وبلاد شمال إفريقيا قد تمرد عليه من حين إلى آخر، فأدركوا أن من الخير أن يتجهوا إلى السيطرة على ما في أيديهم، والمحافظة على دولتهم مترامية الأطراف، بدلا من أن يوجهوا قوتهم إلى التوسع فتضعف شوكتهم في الشرق، ويعرضهم ذلك إلى فقدان أجزاء أخرى من الإمبراطورية. هذا بالإضافة إلى كثرة الحركات الداخلية التي شغلت العباسيين في عصرهم الزاهر الذي كان يمكن أن يكون عصر فتوح.

واكتفى العباسيون بالإغارات ليظهروا قوتهم للأعداء، ولأنهم دائما على أهبة الاستعداد لزحف عليهم والإيقاع بهم، وقد اتخذت هذه الإغارات شكلا منتظما، وكانت تسمى بالصوائف والشواتي، كما سبق القول.

ويتضح أن جل نشاط العباسيين الحربي كان يتم في الصيف، وأنهم كانوا يتحاشون القيام بغارات في الشتاء إذا لم تدع الضرورة لذلك، أما الصوائف فمن الممكن أن نقول إنها كانت منتظمة، وقد بكر العباسيون بالقيام بها منذ نشأة دولتهم، حتى يوقعوا في نفس عدوهم، أن الأحداث الداخلية لم تضعف شوكتهم، ولم تشغلهم عن الهجوم على الأعداء، وأول صائفة قام بها العباسيون كانت سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م وقد قام بها سعيد بن عبد الله. ثم انقطعت بعد ذلك فنجد الطبري وابن الأثير يذكران الحج بالناس بالقيام بغزو الصائفة، فيقولان "وحج بالناس فلان وغزا الصائفة فلان"، وإذا لم يقم العباسيون بغزو الصائفة فإننا نجد ابن الأثير يذكر ذلك معللا له، فهو يقول في حوادث سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م. "ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السفاح بحرب سنباذ"، ويقول في حوادث سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م" ولم يكن بعد ذلك صائفة قيل إلى سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م لاشتغال المنصور بأبي عبد الله بن الحسن". وهكذا كان غزو الصائفة جزءا من برنامج العباسيين لا تتخلف لغير ضرورة قاسية. ومن أهم الصوائف التي حدثت في عهد المنصور تلك الصائفة التي سبقت الإشارة إليها والتي ذكرها ابن الأثير في حوادث سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٦م، وكانت ردا على غارة شنها إمبراطور الروم على ملطية سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، فهدم أسوارها ودخلها عنوة، وقد أعد المنصور رده على هذه الغارة في الصائفة ...، وجعل قيادتها لأخيه العباس بن محمد وعمه صالح بن علي. وقد بدأ صالح بإصلاح ما أفسده الروم في سورها، ثم دخل في أرض الروم، وثأر للمسلمين واستنقذ أسراهم.

وعندما كانت الجيوش الزاحفة لغزو الصائفة تسير بقيادة الخليفة نفسه أو ولي عهده، ولا يجب أن ننكر أن الصوائف التي تمت في عهد هارون الرشيد كانت من أقسى الصوائف وأشدها على البيزنطيين، وأكثرها إذلالا لهم، وطالما تولاها الرشيد بنفسه

وقد عمد العباسيون إلى إنشاء إقليم العواصم لحماية أطراف الدولة الإسلامية من هجمات الروم. ويقصد بلفظ العواصم سلسلة حصون مدخله الجنوبية طرقها الحربية؛ لأنها تعصم الحدود وتحميها من هجمات الروم، ولأن المسلمين كانوا يعتصمون بها من العدو، فهي تقع بينها وبين الحصون الشمالية الخارجية اللاصقة بحدود البيزنطيين، هي الحصون التي سميت بإقليم الثغور، لمواجهتها مباشرة أرض العدو. وكان إقليم الثغور ينقسم إلى قسمين: أحدهما في الشمال الشرقي، ويسمى بالثغور الجزرية نسبة إلى أرض الجزيرة شمال العراق) ومن حصونه ملطية وحصن منصور والحدث، والقسم الثاني بالثغور الشامية في الجنوب الغربي حيث تقترب من ساحل خليج الإسكندرونة. ومن أهم حصون هذا القسم المصيصة وأدنة وطرسوس.

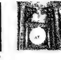
وقصة إنشاء العواصم والثغور هي أن الرشيد لم يكتف بنظام الصوائف لإبراز قوته وحماية بلاده، ولكنه اقتدى بالبيزنطيين الذين أقاموا على أطراف بلادهم المجاورة لبلاد المسلمين حصوناً وضعوها تحت إشراف رجال حربيين عرفوا بحكام الثغور الطرفية (الكليسورات)، وقد رأى الرشيد أن هذا الخط الدفاعي البيزنطي على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، وسماه إقليم العواصم والثغور. وكان هذا الإقليم حرما من أرض قنسرين والجزيرة، فعصمه هارون الرشيد عنها، وعين ابنه المعتصم أميرا له، وجعل عاصمته أنطاكية وامتد إلى حلب ومنبج وشمال أنطاكية ومنطقة الساحل.

ومع أن نظام الصوائف والشواتي كان يمثل العلاقات الحربية بين المسلمين والبيزنطيين في هذه الفترة، فقد كانت ظروف خاصة تجد أحيانا، فتجعل الصائفة أو الشاتية تتوغل في قلب بلاد الروم، أو معركة حربية حامية أوسع مدى، وأشد عنفا من الهجوم الخاطف الذي كان يميز الصوائف والشواتي، وقد لمع اسم هارون الرشيد في هذه المعارك خلال خلافة أبيه وخلال خلافته هو، كما لمع فيها اسم المعتصم ابنه، وقد سجل التاريخ والشعر العربي بعضا من هذه المعارك التي نقدم أمثلة منها.

موقعة خليج القسطنطينية:

كانت الصائفة التي شنها المهدي على البيزنطيين سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م قد جاءت بسبب النشاط العدائي الذي قام به البيزنطيون على الحدود الإسلامية قبيل هذا الزحف، وقد سير المهدي ابنه الرشيد عام ١٦٥هـ/ ٧٨١م على رأس هذه الصائفة في حوالي مائة ألف مقاتل ومعه القائد العظيم يزيد بن مزيد الشيباني، وقد كتب لجيش المسلمين النصر في زحفه، واستطاع





دينار ذهبي ضرب في عهد هارون الرشيد (١٨٣هـ) مكتوب على مركز الظهر (الله ربي)

الرشيد أن يصل بجيشه إلى خليج القسطنطينية. فأوقع الرعب في قلب الامبراطورة إيريني أرملة الإمبراطور ليو الرابع ١٥٩-١٦٤هـ/ ٧٧٥-٧٨٠م وكانت وصية على ابنها. فطلبت الصلح، وتم الصلح على جزية قدرها سبعون ألف دينار كل عام، وأن تقيم للجيوش المسلمين الأدلاء والأسواق في طريق عودتهم. وقتل وجرح من الروم في هذه الوقائع ٥٤٠٠٠ وكانت مدة الهدنة ثلاث سنوات

وفي هذه الغزوة يقول مروان بن أبي حفصة مخاطباً الرشيد

أطفت بقسطنطينية الروم مسنداً	إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى أتتك ملوكها	بجزيتها، والحرب تغلي قدورها

وتعرضت بعد ذلك الخليفة العباسية في دولة بيزنطية إلى أحداث جسام وتعرضت فيه في ثلاثة عن الإمبراطورة إيريني وعود ابنها قسطنطين السادس ٧٨٠-٧٩٧م/ ١٦٤-١٨١هـ التي تحقق مرحلة الأمن إلى مرحلة ... وعود ثالثة بعودة بعض قواد ... الإمبراطورة إيريني ... الإمبراطور ... العرش ... قسطنطين ... ملكي ...

كنيسة ايريني



[illegible] وسملت عينيه واستولت على الحكم بصورة مطلقة.
وفي [illegible] حكمها [illegible] معركة خليج القسطنطينية التي حدثنا عنها آنفاً، [illegible] فانتهت بهزيمة ساحقة للبيزنطيين ويصالح [illegible] عيني أن قوة الجيش ظلت في طريقها إلى [illegible] نقفور الذي كان وزيراً للمالية، نفسه إمبراطوراً على [illegible] سنة ٨٠٢م/١٨٧هـ

[illegible] نقفور [illegible] يعتقد أن [illegible] التي ظهرت به [illegible] أمام جيوش المسلمين. ويرجع إلى أن الدولة يحكمها امرأة، ولذلك بعث نقفور إلى هارون الرشيد الذي كان قد آلت إليه خلافة المسلمين بالرسالة التالية: «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب. أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها، ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها، لكن ذلك ضعف النساء، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع له المصادرة بك، وإلا فالسيف بيننا وبينك».

فلما قرأ الخليفة هذه الرسالة استشاط غضباً، حتى لم يستطع أحد من جلسائه أن ينظر إليه ثم دعا بدواة، وكتب على ظهر الكتاب: «من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الروم: أما بعد فقد فهمت كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام على من اتبع الهدى».

وشخص الرشيد من يومه إلى [illegible] ومعه جيش هائل عام ٨٠٦م/١٩٠هـ، وعجزت مقاومة البيزنطيين أن توقف ذلك الجيش الزاحف حتى وصل إلى مدينة هرقلة، وقد غنم في طريقه [illegible] كما شاءت له رغبته. وعسكر جيش المسلمين حول هرقلة، وبدأ بقذف حصونها بحجارة ملتهبة حتى سقطت، وقد سجل الشاعر العربي هذه الصورة في قوله:

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً	جوائماً ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا في قلب قلعتهم	مصبغات على أرسان قصار

وأدرك نقفور [illegible] الإمبراطورية [illegible] لم تكن [illegible] الهزائم التي حلت بها [illegible] [illegible] وإمامته بالهدايا التي [illegible] من أجله. فسأل الصلح على مال [illegible] [illegible] وقبل هارون الرشيد ذلك [illegible] ولكن [illegible] [illegible] الرشيد [illegible] الروم حتى نقض نقفور العهد [illegible] [illegible] الرشيد [illegible] عودة إليه، وقد كان الكتاب [illegible] على قادة المسلمين [illegible]



فيها ما يستطع عقبة الرشيد، فاحتال الشعراء من حيث يكلمون جعفر عبد الله بن يوسف، وقال أبو العتاهية من يوصله، فسمى ذلك شعرا وينشد الرشيد، فقال:

نقض الذي أعطيته نقفور   فعليه دائرة السوء تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه   غنم أتاك به الإله كبير

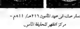
فعرف الرشيد بذلك خبر النكث، وعاد من فوره، واقتحم في بلاد الروم، وفتح هرقلة، ولم يبرحها حتى حمل الجزية من نقفور عنه وعن آله ورجاله، وكان مقدارها [illegible] دينار.

كانت هذه أشهر الاحتكاكات الحربية بين هارون الرشيد، الذي كان مكتوبا على قلنسوته غاز وحاج، وبين إمبراطور الروم وتستحق الآن إلى واحدة من أهم المواقع بين المعسكرين والمعروفة باسم "يوم عمورية".

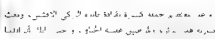
فتح عمورية:

كان الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري (٨٢٠-٨٢٩م/ ٢٠٥-٢١٤هـ) معاصرا لخليفته العباسي المأمون، وقد مني كل منهما بثورة أشعل نار الفتنة في الداخل، وأثار القلاقل في وجه عدوه، فمني المأمون ببابك الخرمي، ومني ميخائيل بتوماس Thomas Slavinan الصقلبي، وبابك هو زعيم الخرمية ورئيسها الأكبر، وكانت هذه الطائفة إحدى طوائف الفرس التي تعيث في الأرض فسادا، وتخيف السبيل، وتبيح المحرمات.

أما توماس الصقلبي فهو رجل سلافي الأصل، قاد الثائرين على الإمبراطور بحشد من الأنصار خدعهم به والعامة، وقويت شوكة الثورتين واستفحل شأنهما، إذ أيد المأمون ثورة توماس وأمده بالعون، وتعلم ميخائيل وخلفه ثيوفيل ٢١٤-٢٢٨هـ/ ٨٢٩-٨٤٢م أمثال تلك الدسيسة في دعم الخرمي، ولكن ميخائيل العموري استطاع أن يكسر



دينار صك في عهد المأمون ٢١٦هـ/ ٨١١م - مركز الظهر للخليفة المأمون



من جديد أن يقضي على المتمرد عليه قبل أن يتمكن المأمون من القضاء على شأفته في بلاده. وغاب المأمون بعد أن أضعف شوكته ... في عهده معتصم أن يجد ليقلم أظفاره ويقضي عليه.

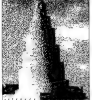
وعند ما ولي جهزه كسيرة بقيادة قائده التركي الأفشين، وبعث به ... ليوقع بهم ... أن الأمبراطور تيوفيل بن ميخائيل يخبره أن جيوش المسلمين اجتمعت عليه، ويغريه بالخروج نحو بلاد المسلمين ويمنيه بأن الغزو سيكون سهلا ما دامت جيوش مسلمي مشغولة في حربهم معه. واستجاب تيوفيل لنداء بابك، وكان بابك يحدم غرضين، فهو يخفف الضغط عن جنده، ثم هو يثأر لأمته من المسلمين الذين طالما نكلوا به وبقومه. ولكن المعتصم كان فطنا، فحشد طعيان الى بابك على أرضه دون أن يخفف ضغطه على بابك. ومن ذلك ... أن انتصر عليه، وشتت شمل جيشه، ومثل به.

أما تيوفيل فكان قد اتجه إلى زبطرة، مسقط رأس المعتصم. هدها الهجوم ... من الأثير أنه قتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء، وأغار كذلك على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين، ومثل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل عيونهم، وقطع أنوفهم وآذانهم، وكان من بين من أسر من النساء امرأة هاشمية كبر عليها الضيم والقسوة، فصاحت: وامعتصماه، وعن بعض المعاصرين خبر هذه الصيحة إلى المعتصم وقد انتهى من بابك فأجاب: لبيك يا أمه.

حين أن ما أصاب زبطرة، الإمبراطورية التخريب والحريق بلغت أنباؤه المعتصم في عاصمته سامر، فصمم على أن يثأر لها، وما كاد ينتهي من فتنة بابك التي انتهت بمصرعه سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، حتى أعد عدته بأن يصوب ضربة قاصمة لذلك الإمبراطور، وتقضي على عنته، فمعروف أن عمورية هي مسقط رأس الإمبراطور تيوفيل Theophilus ٢١٤-٢٢٨هـ/ ٨٢٩-٨٤٢م، وعزم المعتصم على إزالتها من الوجود على أن لعمورية أهمية أخرى، إذ إن الاستيلاء عليها، يعتبر خطوة في سبيل الوصول إلى القسطنطينية، فهي من أهم وأحصن مدن آسيا الصغرى بموقعها على الطريق إلى القسطنطينية. فلم تكن حملة المعتصم كالحملات السابقة موجهة إلى حصون موقعها على الأطراف، بل موجهة إلى أهم موقع في جوف آسيا الصغرى، إذ اعتبرت عين ...

... المعتصم سامرا في أبريل سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م، وقد كتب على ... عمورية. لقد اشتهر المعتصم بالفروسية والبسالة، وقد جعل على مقدمة جيش أشناس التركي، وسار في هذه الحملة الأفشين، الذي اشتهر بأنه قضى على فتنة بابك ... في ... دائمة.



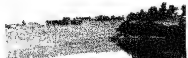


المئذنة الملوية أشهر معالم سامراء في العصر العباسي الذهبي

وحمل معتصم أسره أول هذه محنة، فزحف جيش الشرق، بقيادة لافشين وقد سلك طريق مرعش، فعبر حدود عن طريق درب الحدث، في وقت جرى لا تعرف عليه، حتى يتهيأ له الالتقاء بجيش القادم من الغرب، في سهل أنقرة وانضم إلى هذا الجيش، فيما بعد، جند من لأرض وأسير مسطية. أما الخليفة (معتصم)، فتهيأ في نفس الوقت إلى مسير إلى أنقرة وبيس إلى عمورية فقط.

لم يخف على الإمبراطور البيزنطي ما وضعه خصمه من خطط عن أنقرة وعمورية، فخرج ثيوفيل من القسطنطينية في مايو سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م، وفي دوريسوم على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية، وتقع على الطريق المؤدي إلى الحدود الإسلامية، أخذ يجمع من

مدخل مدينة سامراء





بؤ، ويعتمد ما يقوى به أسوار عمورية وحامياتها. ومن الطبيعي أن يوم البيزنطي قائد ثيم الأناضول الدفاع عن عمورية، عاصمة ذلك الثيم.

وعند لابد طور خطته، على أن يقوم بمواجهة قوات المسلمين، ... بها صوب الشمال إلى ... ولما لم يكن يعلم شيئا عن الجيش الشرقي الذي يقوده الأفشين، عبر نهر الهاليس Halys، وعسكر بجيشه بموضع يقع في أقصى خرشنة. ولا يبعد كثيرا عن النهر، وذلك لأنه ... أن الجيش الإسلامي، سوف يجتاز دروب قيليقية، في طريقه إلى أنقرة، فيستطيع بذلك أن يهاجم مقدمته.

على أن جيش المعتصم القادم من جهة الجنوب، إنما زحف من طوانة صوب الشمال. غير أن الخليفة أصدر أوامره بالتوقف، ريثما يقف على مواقع العدو. وحدث في الوقت ذاته أن علم

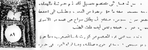
لوحة فنية حديثة تمثل المعركة

ثيوفيل برحف الجيش القادم من الشرق، فاضطر أن يغير من وجهة من الخطط، إذ عزم على أن يقسم قواته، فجعل جزءاً من الجيش تحت قيادته، وتوجه لمواجهة الأفشين، مما سرّع بعد الجيش لمع تقدم الخليفة. وما كاد الأفشين يجتاز سواس، وأصبح في قسم دازيمون، حتى تحتم أن تنشب معركة بينه وبين الإمبراطور.

واشتدت المعركة في أول ساعات الصبح من يوم خميس ٢٥ شعبان/ ٢٢ يوليو. وعلى الرغم من أن البيزنطيين أحرزوا النصر أول الأمر، فإن مسلمين صمدوا على موقفهم، ووقع الاضطراب في صفوف البيزنطيين، حين شاع الخبر بأن الإمبراطور لقي مصرعه، غير أن الإمبراطور عاد إلى معسكره، وترك العقاب من هرب من الجنود، وأرسل من ثمة طوشيا إلى أنقرة للدفاع عنها، غير أن الأمر جاء متأخراً، إذ احتل المدينة جيش الإسلام القادم من المغرب دون أن يجد مقاومة، ذلك أن أهل المدينة أفزعهم ما سمعوه من نبأ انتصار الأفشين، فغادروا المدينة، واعتصموا بالجبال، ولم يلبث أشناس أن اكتشف مواضعهم فأنزل بهم هزيمة ساحقة. ولم يلبث أن انضم الأفشين بقواته إلى المعتصم وأشناس وقواتهم بأنقرة، فأنزلوا بها الخراب والدمار. ولم يسع الإمبراطور إلا أن يلتمس من الخليفة الصفح عنه وجرائمه لصلح فأرسل إليه سفيرين يطلبون عقد هدنة، ويعرضون تعهد الإمبراطور بإعادة بناء زبطرة، وعدة سكانها، وأن يطلق سراح من عنده من أسرى المسلمين وأن يسلم إلى الخليفة كل من ارتكب في زبطرة شيئاً من أعمال العنف والقسوة. غير أن الخليفة لم يستجب لتوسلات الإمبراطور، وشيع رسله بالاحتقار والسخرية.

أما الإمبراطور ثيوفيل فإنه توجه إلى دوريليوم، منتظراً ما سوف يحل بمدينة عمورية من مصير محتوم بعد تدمير أنقرة. فجعل جيشه ثلاثة أقسام، على أن يفصل بين كل قسم وقسم فرسخان، فكان أشناس على المقدمة، واتخذ الخليفة موضعه في القلب، بينما كان الأفشين في المؤخرة، وأنزلوا أثناء سيرهم الخراب والدمار بكل ما يجتازون من الجهات، حتى وصلوا إلى عمورية بعد سبعة أيام من سيرهم. وشرع المعتصم في حصار عمورية في ... عسطس واشتهرت عمورية بمناعتها وحصانتها، حيث كان يحيط بها سور مرتفع يزيد من مناعته ما يقع عليه من أبراج يبلغ عددها أربعاً وأربعين برجاً، وأحاط بها خندق واسع، ومع ذلك سقطت عمورية بعد ... ثم الأناضول وساعده قائد آخر.

وبعد حصار استمر أسبوعين، أعلنت المدينة التسليم في ١٣ أغسطس ٨٣٨ م/ ٢٢٤ هـ، ووقع في يدي خمسة عشر ألف من الأسرى من النساء والأطفال، فضلاً عن الغنائم، وبعد المعتصم بعده إلى سامراء اثنين وأربعين أسيراً من ذوي المكانة، حيث ظلوا في الحبس سبع سنوات



... ثم أرسل إلى المعتصم ... ثم حرشة بالهدايا ... مع ... من الذهب، ويطلب إلى الخليفة ... أن يطلق سراح من عنده من الأسرى ... وتعين ... ذلك العقد

... المعتصم ... كورت ... الصغرى ... وما حوى ... جزيرة صقلية، وما ... الأمور في جنوب ... من ... كل ذلك جعل "الإمبراطور" يعتقد أنه لا قبل له بمواجهة المسلمين المتزايدة في البحر المتوسط، فحرص على أن يلتمس مساعدة من جهة أخرى. فأرسل إلى لويس التقي Louis the Pious، الإمبراطور الفرنجي سفارة ... وبهدية، تعبث إلى الإمبراطور أن يبعث بجيش قوي لمهاجمة مصر أو الشام، حتى يضعف من قوة الخليفة وتشتيتها. وبقيت السفارة مرحبا في البلاط (في ١٧ يونيه سنة ٨٣٩م)، غير أنه لم يترتب عليها شيء من ... ذلك.

ومن ... من حث أمير الأندلس، عبد الرحمن الثاني، على التعاون معه ضد الخليفة العباسي، ثم ... إلى ... الأندلس ... يلتمس من ... من مستحيل أن توجه حملة لمساندة الإمبراطور. غير أنه (عبد الرحمن الثاني) أظهر من النية ... معه برسل مع السفرة صديقه الشاعر يحيى الغزال، وعهد إليه أن يذكر للإمبراطور بأنه سوف يرسل به أسطولا إذا هدأت الأمور في بلاده، غير أنه لم يتم شيء من هذا القبيل.

ثم حدث أن عرض ثيوفيل من جديد على الخليفة المعتصم تبادل الأسرى، فرد عليه المعتصم، أنه لا يريد أن يرد علينا من كان لديك من المسلمين، دون أن تعيب مقابلا لذلك، فوبد ... من ... ويشفق ... لم يطلق سراح البيزنطيين، وتقرر عقد الهدنة عام ٢٢٧هـ ٨٤١م. وقد خلد الشاعر العباسي أبو تمام قصة هذه الموقعة في قصيدته التي يقول فيها:

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك المنى حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بني الإسلام في صعد	والمشركين ودار الشرك في صبب
أم لهم لو رجوا أن تفتدى جعلوا	فداءها كل أم برة وأب
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد	شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
لقد تركت أمير المؤمنين بها	للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيهم بهيم الليل وهو ضحى	يشله وسطها صبح من اللهب
إن كان بين ليالي الدهر من رحم	موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها	وبين أيام بدر أقرب النسب





سكة باسم «الواثق بالله» (٢٢٧ / ٢٣٢هـ)

عسكر [illegible] للمعتصم تجهيز لهجمة على القسطنطينية، وبعد ذلك أسطولا مؤلفا من [illegible] سفينة، أبحرت من موانئ الشام سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م، غير أن المعتصم مات في نفس الشهر الذي مات فيه ثيوفيل، وتحطمت السفن على صخور جزائر خيلدونيا فلم ينج منها إلا سبع سفن فقط.

وتولى الخلافة من بعد المعتصم، الخليفة الواثق ٢٢٨-٢٣٣هـ/ ٨٤٢ - ٨٤٧م الذي جرى في زمنه من بعض الفتن الدينية والثورات في بلاد العرب ودمشق، والسجن والنكبة في بغداد، ما جعله يعجز عن مواصلة الجهاد الديني. وعلى الرغم من أنه تم تعقد بين البيزنطيين والمسلمين هدنة، فإنه تم تبادل الأسرى، وتوقفت الأعمال الحربية عدة سنوات.

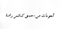
وما كادت تعود هذه الأمور إلى سابق عهدها على عهد ليو الأيسوري، حتى جرى استئناف الحرب ضد المسلمين. إذ أعد الوزير ثيوكتستوس قائد حملة بحرية ضخمة لمهاجمة جزيرة كريت في مارس سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م. وبلغت هذه الحملة من القوة والاستعداد ما لم تبلغه سائر الحملات التي وجهها من قبل ميخائيل الثاني. ولم يلق ثيوكتستوس صعوبة في النزول في كريت، وسرعان ما عسكر بها، غير أن المسلمين بكريت استطاعوا أن يثيروا صعوبات [illegible] على مركزه ومكانته عند ثيودورا Theodora، فشاع الخبر بأن الإمبراطورة جعلت أحد منافسيه قيما في حكمها، فلم يسع القائد إلا أن يعجل بالعودة إلى القسطنطينية، وترك عددا كبيرا من جيشه بكريت، فتعرض للهزيمة الساحقة التي أنزلها به المسلمون.

وعلى الرغم من أن أمراء كريت كانوا مستقلين فعلا، فإنهم اعترفوا بسيادة الخلافة [illegible] بالإسكندرية، وأنها أصبحت كأنها تابعة لولاة مصر [illegible] ثيوفيل [illegible] مركب هذه الصلة، أرسل إلى مصر سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م حملة بحرية [illegible] معروفا وقتذاك من القوى الحربية، [illegible] هذه الحملة [illegible] الشمالية [illegible] منها أسطولان لم تعرف الجهة التي قصد [illegible] حربي تكلفهما بأعمال حربية في بحر الأرخبيل، أو على ساحل الشام، أن الأسطول [illegible]



تتألف من ٨٥ سفينة، وخمسة آلاف رجل وتولى قيادته، على حد ما ورد في مصادر العربية، ابن قطونا، الذي تسميه فازيليف تكاتس، فهاجم ثغر دمياط في ٢٢ مايو سنة ٨٥٣م/ ٢٣٩هـ ولما وصل الأسطول البيزنطي لم يجد بالمدينة حامية عسكرية، إذ إن عنبسة بن إسحق أمير مولاه من الحرب على مصر، استدعى الجند للاشتراك في الاحتفال بعيد الأضحى بالفسطاط وغادر أهل المدينة تصعدوا بها، بينما أخذ البيزنطيون بها النهب والحريق، وأسروا من سكانها نحو ٦ من مسلمين ونسوة، وعثروا على مقادير كبيرة من الأسلحة، حتى استعدها لإرسالها إلى وادي كريت. وبعد أن أتم البيزنطيون مهاجمة دمياط، نقلوا سفنهم إلى جزيرة تنيس، غير أنهم لم يلبثوا أن تحولوا بعد أن أدركوا ما تتعرض له سفنهم من الخطر بسبب ما يكتنف الجزيرة من كثبان رملية، إلى حصن أشتوم، المشهور بمنعة أسواره وأبوابه المصنوعة من الحديد. وبعد أن دمر البيزنطيون ما عثروا عليه من أدوات الحرب، عادوا إلى مواطنهم.

وفي السنوات الأخيرة من حكم ميخائيل الثالث Michael III ٢٢٨-٢٥٣هـ/ ٨٤٢-٨٦٧م، واصل المسلمون بكريت غاراتهم على جزر بحر الأرخبيل، فتعرضت جزيرة لسبوس Lesbos للنهب والتخريب، وجرى نقل رهبان دير آثوس Athos من مواضعهم. ولم يلبث الإمبراطور ميخائيل الثالث وبرداس Bardas محاولة أخيرة لاسترداد جزيرة كريت، بأن أعد حملة بحرية كبيرة، أقلعت من شواطئ تيم ترسيس، حيث اجتمعت سائر الأساطيل وعساكر القدمة من ثيمات آسيا الصغرى للاشتراك في حملة على كريت، على أن هذه الحملة فشلت بسبب اغتيال الإمبراطور، وظلت كريت في يد العرب نحو ثلاثين سنة أخرى.



أيقونات من إحدى كنائس رادوس



فهرب تيودورا إلى ثيوكتستوس بعد أن السعى في سرعة غير أنه حدث به الهزيمة أيضا ... Ma... (mon... عند مدخل "البوسفور" ... ثيوكتستوس ... عاصمة ... بارداس هو المسئول عند حل ... الجيش البيزنطي ... من الأخطاء ... إلى حروب البيزنطيين ... السائد من تيودورا واضطر بارداس على ... العاصمة

على أن ما حدث وقت الواثق ٢٢٨-٢٣٣هـ/ ٨٤٢ - ٨٤٧م، الذي تولى الخلافة بعد معتصم من ... داخلية في أنحاء الخلافة العباسية، كالثورة التي شبت في دمشق بساليد لأموس، وما وقع في بلاد العرب من تمرد للقبائل، وثورة الأكراد في أعالي العراق، وقد خوارج، وما حدث من ازدياد السخط والكراهية للخليفة في بغداد بسبب سوء الإدارة وفساده، وبسبب فتنة مذهبية حول القول بخلق القرآن وقدمه، وحول رؤية الله في الآخرة لاحرج، كل ذلك جعل الخليفة يجنح إلى عقد هدنة مع البيزنطيين، ولم يكن أحوال بيزنطة وقتئذ تدعو إلى ... في قتال المسلمين بعد أن أصابتها الكوارث والهزائم الخطيرة في صقلية سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م

وتم تقرر إجراء تبادل الأسرى بين الدولتين ٢٣١-٢٣٢هـ/ ٨٤٥ - ٨٤٦م، على نهر للامس بسيب الصغرى الذي يعتبر حدا فاصلا بين المملكات الإسلامية والبيزنطية، واستمر لمدة أربعة أيام، جرى في أثنائها افتداء نحو ٤ آلاف من الأسرى المسلمين، منهم نساء وأطفال ودبيون من رعايا الخليفة

ويرتبط بالقتال بين المسلمين والبيزنطيين في الشرق، ما جرى من اضطهاد للبيالصة Pauli-cians، فمعروف أن مذهب البيالصة ذاع وانتشر في سائر آسيا الصغرى من فريجيا Phyrogia وليكاونيا Lycaonia إلى أرمينية، وأن أتباع هذا المذهب عاشوا في هدوء وسلام زمن الأباطرة الأيقونيين في القرن الثامن الميلادي ولما اشتهروا به من تحريم عبادة الصور والرسوم ... وعشر سنين يقومون بسبك حلة أقسم، صار لهم سلطان كبيرا على الحركة الايقونية، غير أنه ... الأيقونيين من الاضطهاد زمن ثيوفيل وابنه ميخائيل الثالث، ... عن ... الاضطهاد ... حماية أمير ملطية الأمير عمر بن عبد الله الأقطع، ... ... شمشاط ... من الجند الذين يبلغون نحو ٥ آلاف رجل، والراجح أنه ... في شمال ملطية وغربها، واشتهر منهم ... التي ... بهم ... عليهم



... [illegible] سمحت لثيودورا موقف قصير في مسألة وجهة ... قص ... عهد ... الحاكمة للأرثوذكسية، وأنها هدف ... [illegible] لم يرجعوا إلى الدين القويم وأعدمت تلك ... حمية ... وعتهم، عجب التاريخ وهلك عدد كبير ... [illegible] ... نجا منهم هرب إلى الحدود، واستولت ... على ... [illegible]

وقد كانت ثيودورا ... الحكم سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦م حتى نشط الساحة في التعاون مع ... في ... البيزنطيين ... أخاها بتروناس Petronas، الذي شغل ... وعينه قائد ثيم الثراقسيون ... العيش، وفي صيف سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦م؛ قام بعارف على ... وأمد ثم تقدم لمهاجمة تفريك، الذي انحاز إلى أمير ملطية ووالي طرسوس في الإغارة على أملاك البيزنطيين. ومما حدث في هذه السنة ٨٥٦م / ٢٤٢هـ من غارات أمير ملطية ... طرسوس ... زعيم سيالصة لهم، وكما يقابله ما قام به الإمبراطور ميخائيل الثالث، الذي ... من مرشد، وبصحبته خاله بارداس وبتروناس، من الاستعداد لقتال المسلمين. فتوجهت حملة لأولى لمهاجمة سميساط، وتولى قيادتها بارداس، غير أن المسلمين ... البيزنطيين ... الإمبراطور ميخائيل لا بصعوبة بالغة. ثم جرت تبادل الأسرى في شتاء هذا العام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م، ويرجح أن الإمبراطور البيزنطي هو الذي اقترح ذلك، بعد أن حاقت به الكوارث في الشرق، وفي صقلية؛ على أنه ما كانت أسابيع قليلة تمضي على هذا الفداء، حتى خرج الإمبراطور ميخائيل مهاجمة أملاك المسلمين، غير أن ما ورد من أخبار مهاجمة الروس للقسطنطينية في يونيه عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م جعله يعود لمعالجة الموقف؛ فلما زال الخطر، رأى الإمبراطور من جديد في الشرق، لقتال عمر أمير ملطية، الذي استعد للأمر وخرج للحرب. اتخذ الإمبراطور طريق الإمبراطوري المعهود الذي يؤدي إلى أعالي الفرات عن طريق أنقرة وسيواس، وأقام معسكره في سهل دزيمان، حيث آثر الانتظار بأبيه من قبل هزيمة ساحقة؛ وصار يرتقب قدوم الأمير من سيواس، من الطريق المعهود، غير أن عمر اتخذ طريقاً مختلفاً، وأخذ البيزنطيين على غرة، ... جيوشه صوب الشمال عبر التلال، ولما هبط إلى سهل ... جيوشه موضعه ملائماً في خوناريون Chonarion، قرب المعسكر البيزنطي، نشبت بين الفريقين معركة حاسمة، انتهت بالهزيمة الساحقة التي حلت بالبيزنطيين، وفر الإمبراطور ميخائيل إلى ... بلال، فحاصر الجيش الإسلامي فترة من الزمن، غير أن المسلمين لم يلبثوا أن ... [illegible] ... وعقد الفداء.

الراجح أن عمر أمير ملطية تقدم، بعد الانتصارات التي أحرزها، حتى ... ثم عاد ... ثلاث سنوات عام ٢٤٩هـ / ٨٦٣م، فخرب ثيم الأرمنياق، واستمر في سيره حتى ... [illegible]

البحر الأسود، فاستولى على أميسوس Amisus، التي كانت تعسـ... وقتئذٍ من أكبر موانئ ثاودوقيا، على ساحل البحر الأسود، وبرسـ... ثاودوقيا تطويق عهد سهل

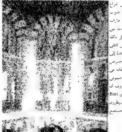
ولما علم الإمبراطور ميخائيل عن أخباره عمر أمير ملطية من الانتصارات، أعد حشدًا كبيرًا، جعل على رأسه بتروناس، وجمع ... الجيوش البيزنطية المرابطة في ... ومقدونية، محاصرة عمر مريعه معسكر في شاطئ نهر هاليس إلى جوانبه والسدود، وجعل بيروناس حيلته على ... يعترض طريقه، ويوقف تقدمه، وأن يطوق عدوه في الموضع بين بحيرة تتا Tatta وبين نهر الهاليس، فاجتمع في الشمال منه جيوش ثيمات الأرمنياق، والبقلار، والافلاجون، وكولونيا، ويحتشد في الجنوب والجنوب الشرقي جيوش ثيمات الأناضول، والابسيق وقبادوقيا، يعززها عساكر سلوقية وخرشنة، بينما اتخذ بتروناس ومن معه من عساكر ثيمات التراقسيس وتراقيا ومقدونية مكانه في الغرب من طريق الجيش الإسلامي، ولم يكن يفصل بينه وبين معسكر المسلمين إلا تل، سعى بتروناس أن يحتل قمته، وعلى الرغم من أنه جرى تطويق قوات عمر في هذا الموضع، غير أنه شن هجومًا حاسمًا، كان يرمي من ورائه إلى أن يشق له طريقًا، وسط الجيوش البيزنطية. لكي يدرك مؤخرة المسلمين بحو ... ليسير نحو الشمال أو الجنوب، غير أنه لم يستطع إلى ذلك سبيلًا. فلقي مصرعه وهو يقاتل عدوه الذي يعوقه في التقدم، وأرسلت رأسه ليعلق بها في شوارع القسطنطينية. وآخر ما حدث من الحروب في الشرق زمن ميخائيل الثالث Michael ... كان في سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، حيث لقي علي بن يحيى مصرعه في موقعة في ميافارقين Martyropolis (ميافارقين) في أعلى الفرات

وقد تعرض حدود بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية في هذه الفترة لتغيير كبير، غير أن ... المسلمين اصطدموا ... أسلافهم حصونًا عديدة، وما هو أهم من ذلك ... انسحاب أنفسهم في أبدوقيا شرق نهر الهاليس

... في حوض البحر الأبيض المتوسط، فالمعروف أن الأندلسيين استولوا على جزيرة كريت، العدو الأكبر ... لا حسن كيمة شاءوا، وحصلوا على ما كانوا ... من المغانم. وتعرضت جزيرة ... للحروب والنهب ... وفي عهد ميخائيل الثالث وثيودورا أعدت حملة ضخمة لمهاجمة ... الإسلامية ... تطلع هذه الحملة من شواطئ ... التي تجتمع فيها سائر ... لأسطول وقوات عسكرية المقاطعة في الشمال الأسيوية، وذلك سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م، غير أن ... من مجمع مؤامرة التي دبرها باسيل الأول Basil I (الذي صار فيما بعد الإمبراطور ... المقدوني). لاغتيال القيصر برداس، توقف سير الحملة إلى كريت ... في ...

مرة بحصن .. الأسرة .. المسلمين عقبة المسلمون من المواقع ..
.. أقدم المسلمين .. في الحروب ..
.. استيلائهم على نوتو Noto و Scicli وكذا في الشمال الشرقي
استيلائهم على .. Tauromenium، غير أن ..
.. في .. المسلمين إلا من المقدسيين.

ونحب الإشارة إلى أنه في أواخر عهد .. كان
.. في بغداد وبلاد الخلافة العباسية بسبب تسلط الترك .. الخليفة المستعين
.. خلافته سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م، وولي الخلافة من بعده المعتز، .. الدولة
العباسية في دور .. والتفكك، على حين أن الدولة البيزنطية استهلت عصرا جديدا من ..
والتوسع، على أيدي أباطرة الأسرة المقدونية ٢٥٣-٤٤٨هـ / ٨٦٧-١٠٥٦م، وذلك بعد أن
.. أول سيده ميخائيل الثالث وصار إمبراطورا على الإمبراطورية البيزنطية عام ٢٥٣هـ
٨٦٧م.



جدير بالذكر أن .. وقع من صراع
بين الأمراء .. في جنوب
إيطاليا، وما تعرضت له روما من غارات
المسلمين، وما حدث من المصادمات بين
البابوية والأمراء ..، كل ذلك
دعا أباطرة .. أمثال لويس الثاني
Louis .. ولوثير Lothair إلى
التدخل في شئون إيطاليا. وحرص
لويس الثاني على أن يوطد سلطانه في
إيطاليا، ويعمل على استرداد ما استولى
عليه المسلمون من البلاد. والمعروف أن
المسلمين .. على باري Bari
وأقاموا لهم بها إمارة، وصاروا يسيطرون
على أبوليا Apulia، حيث ..

الكنيسة الكرولنجية التي بناها
شارلمان بجوار قصره



سلطانهم ٢٤ حصناً من هذه الحصون صارت بسبيهم ... على أحياء المجد ... شهوب ... باستحكاماتها ... تكن بقية أسطول ... ثم يستطيع ... من معاقلهم الساحلية. فتعرض في ... على الرغم من طول مدة حصارهم لها، وفي سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م ترتب على ذلك أن استعاد ... الدولة البيزنطية سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م. ... بعض ... التي أطلع منها أو من كريب أسطول إسلامي ... في سنة ٨٧٥م / ٢٦٢هـ على ... وأحرق ميناء كوماشيو Comacchio ... على مصب نهر بو وتعتبر هذه هي آخر إغارات المسلمين على أعالي البحر الأدرياتي.

وعلى الرغم من أن الدولة البيزنطية بمساعدة ... استطاعت أن تصد ... وجهود المسلمين من سواحل دالماشيا والبوند والبلوبونيز، وأن تستولي على جزيرة قبرص ... مدة سبع سنوات، فإنها لم تستطع أن تبسط سلطتها على الساحل الغربي لإيطاليا ... المسلمين على امتداد هذا الساحل الإيطالي، فأغاروا على جايتا Gaeta وسالرنو Salerno. وتعرضت ... البابا لهذه الغارات التخريبية. واستنجد البابا حنا الثامن بالإمبراطور شارل الأصلع، وبالدولة البيزنطية، وبمدن أمالفي Amalfi وجايتا ونابولي. غير أن دعوته لم تلق اهتماماً محسوساً. فلم تحفل الدولة البيزنطية بمساعدته لما تبين لها من ... مصالحها، فضلاً عن انحصار مركزها في صقلية والشرق. ولم يكن لدى شارل الأصلع قوة بحرية يستطيع أن يبعث بها لرد المسلمين. يضاف إلى ذلك أن مدن كامبانيا حرصت على الإبقاء على صداقة المسلمين فلم يسع البابا، إزاء كل ذلك، إلا أن يدفع للمسلمين جزية قدرها ٢٥ ألف دينار حتى يستتب الأمن والسلام في أملاك الكنيسة بوسط إيطاليا. ثم استولى المسلمون على جزيرة مالطة ... التي اشتهرت بموقعها الحربي بحصونها ... وفي سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨م سقطت سيراكوزة بعد حصار استمر تسعة أشهر، ... لمجاعة شديدة ... فيه عدد كبير من السكان. فلم يبق في يد البيزنطيين إلا تاورمينا Taormina في شرق الجزيرة ... ضغط المسلمين لم تتوقف حملته إلا سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م حين ... أسطول بيزنطي قبالة صقلية، واعترض طريق التجارة بين المسلمين ... ... ترميني Termini وعلى الرغم من ... المسلمين ... بسبب قوة هذا الأسطول، فإن نشاط المسلمين البحري ... أنهم احتلوا لهم قاعدة محصنة في سنة ٨٨٢ أو ٨٨٣ م. ... Monte Garigliano



وترتب على قوة بيزنطة المتجددة في تلك الجهات، أن تقرر عقد هدنة في سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م بين المسلمين في صقلية وبين بيزنطيين. وفي نفس السنة استطاعت بيزنطة أن تنزل في جنوب إيطاليا جيشا ضخما بقيادة نقفور فوقاس Nicephor Phocas ونقرر إنشاء ثيمي كالابريا ولمبارديا، بعد أن اعترفت بسلطة بيزنطة عليها، وجرت على نهجها سائر مدن كمبانيا؛ فأصبحت بيزنطة بهذا، وسط الإمارات الإيطالية الصغيرة المتعددة، العامل الوحيد الذي يمثل القوة والاستقرار، وحده الأمور تسير في محاذاة سياسية من اتجاه طيب نحو بيزنطة في الأمور الكنسية آنذاك.

أما عن العلاقة بين البيزنطيين والمسلمين في الشرق بعد ذلك، فالواقع أنه تهيأ لباسيل الأول ٢٥٣-٢٧٣هـ/ ٨٦٧-٨٨٦م من الأحوال المواتية لقتال المسلمين ما لم يتهيأ لإمبراطور قبله، فمن جانب ما يربطه من علاقات سلمية مع جيرانه المسيحيين (أرمينية، وروسيا، وبلغاريا، والبندقية والإمبراطورية الغربية)، سادت الفتن الداخلية في أنحاء العالم الإسلامي، فازداد نفوذ الترك في دار الخلافة العباسية ببغداد، واستقل أحمد بن طولون بمصر سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، ونشبت الحرب الداخلية في شمال إفريقيا، واشتد الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، ومع ذلك لم يتحقق للإمبراطورية البيزنطية كل ما تصبو إليه من آمال.

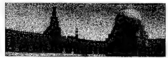
ومعروف أن البيالصة ازداد نفوذهم في الشرق، وانتشروا في سائر أنحاء آسيا الصغرى وفي سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م توجهت حملة بقيادة كريستوفر، صهر الإمبراطور باسيل والقائد العام للجيش، لقتالهم، فأحرزت انتصارا حاسما على البالصة، ودمرت معقلهم في تفريك، وخربت ما كان بهم من متحكمات عديدة، وبددت قواتهم في معركة حامية، هلك فيها زعيم البيالصة المدعو خريسوخير Chrysocheir. وترتب على هذا الانتصار أن واصل البيزنطيون زحفهم نحو الشرق، فاندفع باسيل بجيشه، حتى بلغ إقليم الفرات، فاستولى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، على زبطرة وسميساط. ومع ذلك تعرض باسيل لهزيمة ساحقة، حين حاول الاستيلاء على حصن ملطية الذي يعتبر من المعاقل الهامة. وعلى الرغم من أن باسيل اكتفى بهذا الاستعداد حربي في هذه الجهة، وتبع ذلك من الحملات التي توجهت إلى أقاليم الفرات وإلى أطراف طوروس، فإنه عمد بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل الزحف والتقدم المنتظم، التي قامت به الإمبراطورية البيزنطية على الأطراف الشرقية. يضاف إلى ذلك أن ما أصاب الدولة الإسلامية من ضعف، أسهم في نمو أرمينية، إذ اعترف بسلطة آشوط الأول وقرر اعتباره ملكا، كل من الخليفة، سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م، والإمبراطور البيزنطي سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م؛ فكان ذلك الاعتراف بداية مرحلة من مراحل توسع أرمينية زمن الأسرة البجراطية.



لم يكن لبيزنطة من القوة ما تستطيع بها مواجهة المسلمين في الشرق والغرب. والمعروف أن بيزنطة ارتبطت بأرمينية، رغم الدين المقدونى، بنوع من التحالف والعلاقات الودية، منذ رمن ملكها أشوط الأول، وصارت أرمينيا تعتبر دولة حاجزة ضد المسلمين في ... غير أن أرمينية لا زالت تعترف للمسلمين بالسيادة. ومن الدليل على ذلك، ما كانت تدفعه من جزية سنوية للخليفة العباسي، وضرورة الحصول على موافقة الخليفة عند تنصيب ملوكهم. وفي سبيل المحافظة على السلام، حرص أشوط على أن يعقد محالفات مع سائر الملوك والأمراء المجاورين. فتوجه إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور ليو الفيلسوف Leo VI (ليو السادس ٢٧٣-٢٩٠هـ/ ٨٨٦-٩٠٢م)، الذى قيل عنه، أنه ينحدر من أصل أرمني. ووقع ليو السادس والملك أشوط معاهدة سياسية وتجارية. وأمد الملك أشوط الإمبراطورية البيزنطية بكتيبة أرمينية، تساعد، في حرب ضد البلغار.

وبعد أشوط بقصير نحبه وتولى مكانه ابنه سمباد الأول Sambat I (٨٩٢-٩١٤)، حتى نشبت الحرب الداخلية في البلاد، وانحاز كثير من الأمراء، إلى جانب المسلمين في أذربيجان، الذين يكرهون أرمينية، وتطلع سمباد إلى المساعدة الخارجية من قبل البيزنطيين. على أن أرمينية تعرضت لهجمات المسلمين المستمرة، ولم يستطع الإمبراطور البيزنطى أن ينهض لمساعدة أرمينية. وحينما توجه ليو السادس على رأس حملة لتقديم المساعدة للأرمن، مات قبل أن يصل إليهم بالنجدة، وبذ تثبت أرمينية أن خضعت لحكم المسلمين سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م.

وحتى برغم مما حدث من نشوب خلاف وشقاق بين البيزنطيين، بسبب مشكلة زيجات الإمبراطور ليو السادس الأربع، أصبح النضال بين البيزنطيين والمسلمين شاقاً ومضنياً. ففي الأربع عشرة سنة الأولى من حكم ليو السادس، من سنة ٨٨٦ إلى سنة ٩٠٠م، تعرض البيزنطيون



مسجد أحمد بن طولون / مصر



يوم من عديدة في الشرق عند أبواب مليقية، وفي غرب فينيقية. حيث ... مصير المسلمين يمنى أن يزحفوا على امتداد الساحل، وأن يتوغلوا في جوف آسيا الصغرى. وما حل بالبيزنطيين من الهزيمة براً، وما تعرضوا له من هزيمة بحرية سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م عند Raghib تجاه شاطئ آسيا الصغرى، أجبر الحكومة البيزنطية على أن تستدعي من بعض مناطقها الشجاع نقفور فوقاس. فعاد إلى آسيا الصغرى سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وما أحرزه نقفور من انتصار في أدنه سنة ٩٠٠م لم يترتب عليه منع الغارات ... ونكف هجماتهم.

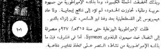
أما عن الوضع بين القوتين البيزنطية والإسلامية في إيطاليا وصقلية فقد أخذت الأمور في صقلية تزداد سوءاً، سنة بعد سنة، فعلى الرغم من الجهود التي بذلها باسيل الأول، لتوحيد القوة البيزنطية في جنوب إيطاليا، وإفادته من التزام المسلمين بصقلية الهدوء، في توجيه البحرية البيزنطية موضعة نشاطها في البحر التيراني، فإن هذا الهدوء لم يكن إلا ظاهرياً، إذ أعقب وفاة باسيل سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م، أن عاد المسلمون بصقلية إلى الهجوم فأغاروا في سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م على كالابريا (قلورية) وأقلعت قوات بحرية بيزنطية، نحو الغرب إلى ريجيو (ريو)، ثم إلى موضع مسينا، وبالقرب من Milazzo، تجاه الساحل الشمالي لجزيرة صقلية، التقت بأسطول إسلامي ضخم، لحقت الهزيمة بالقوات البيزنطية، وتعرض الأسطول البيزنطي للتدمير. وتقرب سنة ٨٩٥م/ ٢٨٢هـ، عقد هدنة بين الفريقين، وبذلك فقدت بيزنطة كل ما لها من سلطان على ميناء صقلية وغرب إيطاليا.

واشتهرت السنوات الأولى من القرن العاشر الميلادي، بما أصاب الدولة البيزنطية من الهزائم، إذ استولى أبو العباس إبراهيم بن الأغلب، في سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م على ريجيو في كالابريا، حيث قام إبراهيم بن الأغلب، الذي تنازل لابنه عن حكم أفريقية، حملة ضخمة سارت براً وبحراً في سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، من بالرمو لمهاجمة آخر ما تبقى في صقلية من الأملاك في يد البيزنطيين، حتى لم تعد مدينة تاورمينا (طبرمين) وما يجاورها ... ثم زحف إبراهيم بن الأغلب ليسير إلى كالابريا، عبر المضيق حتى كوسنزا Cosenza، أنه بعدما حاصر القصر الذي تحصنت له موسيا، إذ أن الجيش الإسلامي عاد إلى صقلية. وعلى الرغم من أن بيزنطة لا زالت تملك بعض المواضع في صقلية، فإن هذه المواضع لم يكن لها أهمية فيما بعد، في تاريخ بيزنطة. فمنذ سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، ما جرى من أحداث صقلية لم يكن له أثر في توجيه الأمور السياسية في بيزنطة. وما ملّ عليه ليو السادس في سياسته مع مسلمي الشرق، لا ترتبط مطلقاً بعلاقاته مع المسلمين في صقلية

وقد اشتهرت أيضا السنوات الأولى من القرن العاشر الميلادي، بما وقع من حوادث كبيرة الأهمية إذ إن المسلمين في المشرق لم يسيطروا فحسب على البحر المتوسط، بل بسطوا سلطانهم على بحر إيجه، الذي تحيط به الممتلكات البيزنطية فضلا عن بحر الأرخبيل وساحل البلوبونيز. وتسالونيكا، تعرضت باستمرار لغارات المسلمين المخربة، واشترك عادة الأسطولان الإسلاميان، في الشام وكريت في هذه الغارات، ففي سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، أغار الأسطول الإسلامي على جزائر بحر إيجه، وأنزل الدمار بمدينة ديمتريوس Demetrius الواقعة على ساحل تساليا، والتي اشتهرت بكثرة عدد سكانها ووفرة ثروتها. وفي سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م قام أسطول إسلامي آخر بقيادة ليو الطرابلسي Leo of Tripoli أو كما يطلق عليه البعض "أبو غلام زرافة"، وهو يوناني اعتنق الإسلام، بالهجوم على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى. وفي شهر يوليه من هذه السنة استولى على مدينة أطاليا Attalia الهامة. ثم عزم ليو على أن يقصد القسطنطينية ليستولي عليها، فاجتاز فعلا الدردنيل إلى بحر مرمرة واستولى على أبيدوس، التي تعتبر ميناء رئيسيا يسلكون عند مضيها إلى القسطنطينية، حيث يقع بها الديوان (الجمرك)، غير أن ليو لم يلبث أن رجع فجأة، واستدار مع شبه جزيرة خلقيديقا Chalcidice وانقض على مدينة سالونيك التي اشتهرت بنشاطها التجاري والثقافي، والتي تلي القسطنطينية في الأهمية والثروة، وانحاز إلى أسطوله سفن إسلامية من كريت، واستخدم في هذا الهجوم قاذفات اللهب، فأحرز انتصارا حاسما، ووقع في يده من السبي نحو ٢٢ ألفا من الذكور والإناث، فباعهم في أسواق الرقيق في الخندق وطرسوس، فضلا عن الغنائم

ومع أصاب الدولة البيزنطية من ضربات قاصمة، ردها إلى صوابها، فعملت على إقامة تحصينات قوية في سالونيك وأطاليا، وانخفضت من التقدير العمالة، ما يزيد في قوة الأسطول ولم تثبت هذه مدة حتى ظهرت آثارها، إذ استطاع الوزير هيميريوس Himerius، أن يحرز في سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م انتصارا باهرا على المسلمين. وفي سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، نزل بجنده في جزيرة قبرص، ومن ثم تحول لمهاجمة ساحل الشام، فاقتحم اللاذقية

وقاد هيميريوس سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م أكبر حملة بحرية لمهاجمة جزيرة كريت الإسلامية، تألفت من ٧ آلاف فارس، و ٣٤ ألف مقاتل بحري، وخمسة آلاف من المرد، وسبعمائة من الروس؛ غير أن الأسطول البيزنطي انسحب بعد قتال فاشل، استمر طويلا، دون جدوى، وفي أثناء عودته هاجمه أسطول إسلامي بقيادة ليو الطرابلسي ودميان، اليوناني المسلم، أمير صور، وقائد الأسطول الشامي، وذلك تجاه جزيرة خيوس Chios، فتعرض هيميريوس لهزيمة ساحقة



وبذلك أخفقت الحملة الكبيرة، وما بذلته الإمبراطورية من جهود حربية ومالية، تجاوزت الحدود، لم تؤد إلى نتائج إيجابية. ولما عاد ميميريوس إلى القسطنطينية بعد وفاة ليو السادس، تقرر إنزاله بالدير.

ظلت الإمبراطورية البيزنطية حتى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م منصرفة إلى النضال ضد سيميون البلغارى Symeon. أما فى الشرق، فإن ما بذلته الإمبراطورية من نشاط، انحصر على اتخاذ تدابير دفاعية. فلجأت إلى السياسة فى الإفادة من التحالف مع أرمينيا، والمحافظة على ما بين بيزنطة والدولة الإسلامية، من السلام والهدوء. غير أن بيزنطة ما كادت تقضى على الخطر البلغارى؛ حتى شرعت فى أن تتخذ خطة الهجوم فى الشرق. وتولى تحقيق هذه الخطة القائد الشهير يوحنا كوركواس. وأفاد كوركواس من الأحوال السيئة التى تعرضت لها الدولة العباسية وقتئذ. إذ إن القرامطة هددوا العراق، بل بغداد ذاتها، ونشبت ثورات القادة والأمراء. وما حدث فى دار الخلافة من الفتن، منع جانبا كبيرا من الجيش الإسلامى من القيام بأى مجهود حربى.

وقد وقع عبء مقاومة الروم بدءا منذ ذلك الوقت على أكتاف الأسرة الحمدانية، التى أسست لها إمارة فى شمال بلاد الشام. ويمكن القول أنه منذ ذلك الوقت الذى سرت فيه روح الشباب فى بلاد الدولة البيزنطية بفضل جهود الأباطرة المقدونيين الذين استغلوا ضعف وتفكك الخلافة العباسية فى عصرها الثانى، بل وظهور الخلافة الفاطمية بعد ذلك ومنازعتها للخلافة العباسية فى بغداد، ومدوا النفوذ البيزنطى فى أراضى الدولة الإسلامية حتى وصل أحد الأباطرة آنذاك وهو يوحنا تزيمسكس ٣٩٥هـ-٣٦٦هـ/ ٩٦٩-٩٧٦م إلى بلاد ما بين النهرين وبيت المقدس، لم يكن بمقدور الخلفاء العباسيين أن يذودوا عن أراضى الدولة الإسلامية لولا وجود سيف الدولة الحمدانى الذى دان بالسلطان للخليفة العباسى. واستطاع الحمدانيون أن يدرءوا الخطر البيزنطى عن أطراف الخلافة العباسية فى رحلة طويلة من النضال والجهاد فى سبيل الله.

وبعد أن هبت الرياح بأركان الدولة الحمدانية وأوشكت على الرحيل من عالم العصور الوسطى حمل الأتراك السلاجقة المسلمين راية الجهاد ضد البيزنطيين حتى اضطر الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus ٤٧٤-٥١٢هـ/ ١٠٨١-١١١٨م إلى طلب العون والمدد العسكرى من الغرب الأوربى، حتى يستطيع الصمود أمام الأتراك السلاجقة. ومن هنا تبدأ رحلة جديدة فى الصراع بين المسلمين والبيزنطيين بعد دخول قوى جديدة فى الصراع، ألا وهى القوى الصليبية، بعدما وطئت أقدامهم أرض الشرق الإسلامى بمجىء الحملة الصليبية الأولى.





أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، القاهرة، ١٩٦٣.
- إبراهيم العدوى، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة، ١٩٥٨.
- أحمد رمضان، تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط، القاهرة، د.ت.
- أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠.
- أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط، جـ١، القاهرة، ١٩٨٦.
- أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جزءان، بيروت، ١٩٥٥.
- حامد زيان، الأسرى المسلمون فى بلاد الروم، القاهرة، ١٩٨٩.
- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٥.
- سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة، ١٩٦٧.
- السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠.
- طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، جـ١، البيزنطيون والعالم الإسلامى، القاهرة، ٢٠٠٣.
- طارق منصور، الثغر الإغريقية: قراءة جديدة فى ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، عدد ٤ (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥).
- عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم فى عصر النبوة، القاهرة، ١٩٩٧.
- علية عبد السميع الجنزورى، الثغور البرية الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٩.
- علية عبد السميع الجنزورى، هجمات الروم على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٨٥.
- فازيليف، أ.أ، العرب والروم، ترجمة/ محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، د.ت.
- فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، جـ١، القاهرة، ١٩٦٦.
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة فى عصر الإمبراطور هرقل، القاهرة، ١٩٨٤.
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، علاقة دولة الروم بمصر، عصرى الطولونيين والإخشيديين، القاهرة، ١٩٨٨.



* وديع فتحي عبد الله، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ٧٤١ - ٨٢٠م/ ١٢٤ - ٢٠٥هـ، الإسكندرية، ١٩٩٠.
* وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الإسكندرية، ١٩٨١.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

-Antoniadis-Bibicou, H., Études d'histoire maritime de Byzance, Paris, 1966.

-Ahrweiler, H., Byzance et la mer, Paris, 1966.

-Browning, R., Byzantium and Bulgaria, (Oxford, 1980).

-Bury, J. B., The Imperial Administrative System in the Ninth Century, (London, 1911).

-Bury, J.B., " Mutasim march through Cappadocia in A.D. 838", JHS, 29(1909), pp. 120-129.

-Canard, M., " Les expéditions arabes contre Constantinople", JA, 208(1926), pp. 61-121.

-Christides, V., " How Chinese Naval Techoology Passed to the Mediterranean Via the Arabs: Once Again the Single Rudder", *ΤΡΟΠΟΣ*, 5(1993), pp. 93-100.

-Constantin Porphyrogénète, Le livre des cérémonies, trad. fran. et comm. Albert Vogt, tome I, Paris, 1935; tome II, (Paris, 1939).

-Constantine Porphyrogenitus, De Thematibus, ed. I. Bekker, CSHB, (Bonnae, 1840).

-Constantine Porphyrogenitus, Three Treatises on Imperial Military Expeditions, text, Eng. trans & Com. J. F. Haldon, CFHB, vol. XXVIII, (Wien, 1990).

-Finlay, G., History of the Byzantine Empire 716-1057 AD, (New York, 1913).

-Haldon, J., Byzantium in the Seventh Century, The transformation of culture, Cambridge, 1990.

-Incerti Scriptoris Byzantini Saeculi X. Liber de Re Militari, ed. R. Vari, (Lipsiae, 1901).

Kaegi, W. E., Byzantine Military Unrest 471-843, Amsterdam, 1981.

–Nicephor Phocas, De Velitatione Bellica, ed.B.G.Niebuhrii, CSHB, (Bonnae, 1828).

-Whittow, M., The Making of Orthodox Byzantium 600-1025, (Lonon, 1996).

□


المحتويات


١٠٤